النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم
دراسة بلاغية فنية

رسالة تقدمت بها إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) – جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في

اللغة العربية / أدب

أقباس قيس عبد مصطفى العاني

بإشراف

الأستاذة حذام جمال الدين الآلوسي

١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ
وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ
لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

صدق الله العظيم

(آل عمران:١٨)

إقرار المشرفة على الرسالة

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم/دراسة بلاغية فنية) المقدمة من الطالبة أقباس قيس عبد مصطفى العاني جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية في كلية التربية (ابن رشد) /جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها /أدب .

التوقيع /

المشرفة / حذام جمال الدين الالوسي

اللقب العلمي / أستاذة

التاريخ ١٦ /٤ /٢٠٠٥

جامعة بغداد – كلية التربية

بناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع /

الاسم / د. عهود عبد الواحد

رئيسة قسم اللغة العربية

التاريخ ١٧ / ٤ /٢٠٠٥

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد باننا اطلعنا على رسالة الطالبة أقباس قيس عبد مصطفى العاني الموسومة بـ (النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم) دراسة بلاغية فنية ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها . ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة ماجستير آداب في اللغة العربية/ أدب وبتقدير (مستوفٍ) .

التوقيع /
الاسم / د. قيس اسماعيل الأوسي
اللقب العلمي / أستاذ
رئيسا

التوقيع /
الاسم /د.عروبة خليل الدباغ
اللقب العلمي / مدرس
عضواً

التوقيع /
الاسم / إنقاذ عطا الله العاني
اللقب العلمي /استاذ مساعد
عضواً

التوقيع /
الاسم / حذام جمال الدين الالوسي
القب العلمي / استاذة
عضواً (المشرف)

صدقها مجلس كلية التربية / ابن رشد
جامعة بغداد

التوقيع/
الاسم/ د.عبد الأمير عبد دكسن
العميد
كلية التربية/ ابن رشد
التأريخ / /٢٠٠٥

الإهـداء

إلى معلم البشرية وهاديها الى النور المبين ...
رسول الله (ﷺ)
إلى من سأبقى خاشعة في محراب حبهما
راجية رضاهما وداعية لهما ربي أن يرحمها كما ربياني
صغيرا ...اللذين قضى ربي الا اعبد الا إياه وبهما إحسانا...
قلبي أمي... وشغافه أبى.
الى زوجي وعيني طفلي هدى واحمد الذين ينظرونني بعين
المحبة والاحترام...
الى سندي في شدتي ورخائي الذين ينظرونني بعين الفخر
والاعتزازاخوتي الأحبة.
الى كل شمعة تحترق لتنير طريق العلم لنا...
الى رفاقي في العلم والدراسة...والى كل من سلك طريقا يلتمس
فيه علما...
الى كل المخلصين في العالم .. والى نفسي صدقة جارية.
اهدي جهدي هذا.

اقباس العاني

٢٠٠٥

شكر وامتنان

لابد لي من وقفة شكر لكل من مد لي يد العون ،فأولا، بعد الله، أتقدم بشكري وتقديري الى الأستاذة الفاضلة حذام جمال الدين الآلوسي لمتابعتها الجادة للبحث، منذ بدايته وحتى إنجازه، خطوة بخطوة، متابعة حثتني على بذل المزيد من الجهود لتحقيق الهدف المنشود، فجزاها الله خيراً.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ الدكتور قيس إسماعيل الأوسي والدكتور عبد الرحمن مطلك على الإرشادات العلمية القيمة التي ساعدت على خروج البحث بهذا المستوى، جزاهما الله عني خير الجزاء .

وشكري وتقديري أيضا للدكتور تحسين عبد الرضا الوزان، فقد فتح لي أبواب مكتبته العامرة، فسهل لي كثيرا من الصعاب التي كنت اواجهها للحصول على المصادر، جزاه الله خير الجزاء واعانني على رد الجميل.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الأخوات العزيزات اسراء عريبي وانهار مرتضى حامد ونبراس عبدالستار خانكة وهناء عبدالحكيم كاظم لما بدر منهن من تعاون أخوي صادق ونبيل طيلة مدة البحث .

وأخيرا وليس آخرا شكري لكل من ذكره القلب ونسيه القلم لكل من ساهم في إخراج هذا البحث الى النور ،وأرجو الله ان يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي ليكون شفيعا لي يوم العرض عليه،والله من وراء القصد والهادي الى سواء السبيل.

المحتويات

الموضوع	
المقدمة	١-٣
التمهيد : جولة في آيات النبي موسى عليه السلام	٤-٨
الفصل الأول : المستوى التركيبي	٩-٧٨
المبحث الأول : الخبر والأغراض المجازية التي خرج إليها	١٠-٣٠
المبحث الثاني : أحوال الجملة	٣١
• التقديم والتأخير	٣١-٣٧
• الحذف	٣٧-٤٨
• الفصل	٤٨-٥٠
• الالتفات	٥١-٥٥
المبحث الثالث : الانشاء	٥٦-٥٧
• الأمر	٥٧-٦٢
• النهي	٦٢-٦٥
• الاستفهام	٦٥-٧٥
•النداء	٧٥-٧٨
الفصل الثاني : المستوى التصويري	٧٩-٨١
المبحث الأول : التشبيه	٨٢-٩١
المبحث الثاني : المجاز والاستعارة	٩٢-١١٨
المبحث الثالث : الكناية	١١٩-١٢٨
الفصل الثالث : المستوى الصوتي	١٢٩-١٣١

التكرار	١٣٢-١٤٠
الجناس	١٤١-١٤٩
الفاصلة القرآنية	١٥٠-١٥٩
خاتمة البحث ونتائجه	١٦٠-١٦٢
مصادر البحث ومراجعه	١٦٣-١٧٥
ملخص البحث ونتائجه باللغة الإنكليزية	

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي انزل القران تبيانا ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد ﷺ خير خلق الله إنسانا ، صلاة و سلاما دائمين متلازمين الى يوم نلقاه و يلقانا

وبعد ...

فيعد القرآن الكريم مصدرا ثرا يرده الدارسون لينهلوا منه ، فهو كتاب العربية الأول الذي يرجع اليه المسلمون ، فهو دستور الاسلام الالهي ، الذي آمن به كل مسلم و مسلمة .

نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ معجزة بلاغية تحدى بها قوماعرفوا بطلاقة اللسان و القدرة على البيان ، نزل بأبلغ عبارة وأحكم أسلوب، و نظمت آياته سورا تفيض بالحكم و العظات عن الانبياء و الرسل و الأولين و أمور الغيب و شؤون الدنيا و الآخرة .

و كنت أطمح منذ قبولي في الدراسات العليا أن يكون موضوعي ذا صلة بالقرآن الكريم و ذلك لحبي الكبير لكتاب الله تعالى منذ الصغر ، فيسر الله لي اختيار موضوع (النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بلاغية فنية)، و قد وقع اختياري على هذا الموضوع لأنني لم أعثر على دراسة منفردة تتناول هذا الجانب من القرآن الكريم بالبحث و التحليل سوى رسالة ماجستير تناولت (النبي موسى عليه السلام بين التوراة و القرآن الكريم) للباحث عماد عبد الهادي محمود العبيدي، درست الجانب الوصفي و الموضوعي للآيات، من غير تطبيق للسمات البلاغية ، فاختلفت في منهجهاوطريقة معالجتها عن منهجي وطريقة معالجتي لموضوع رسالتي ٠

وقد فرضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة فصول ،مسبوقة بمقدمة وتمهيد ، وأعقبتها خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها، و قائمة مصادر البحث ومراجعه .

و قد اشتمل التمهيد على تعريف موجز بالآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام،و مكانتها في القران الكريم.

وبحثت في الفصل الأول المستوى التركيبي للكلام، وقسمته على ثلاثة مباحث، تناولت في الأول الخبر بنوعيه الحقيقي و المجازي ،و الاغراض المجازية التي خرج اليها ، و أثرها في تصوير الاحداث و تجسيدها ، في حين تناول المبحث الثاني الانشاء بنوعيه الطلبي و غير الطلبي ، و تناول المبحث الثالث احوال الجملة من تقديم و تاخير و حذف، و فصل ،و التفات ،مبينة أثر كل منها في تجسيد الصور و الأحداث فيها، و ما أحدثته من اعجاز بلاغي على اختلاف نظمها .

اما الفصل الثاني فتناول المستويات البيانية للبحث ،و اشتمل على ثلاثة مباحث ،تناول الأول التشبيه ،وتناول الثاني المجاز ،وتناول الثالث الكناية .

تضمن الفصل الثالث المستوى الصوتي للآيات، وكان على ثلاثة مباحث، تناول الأول التكرار ، وتناول الثاني الجناس ، وتناول الثالث الفاصلة القرآنية ووقفت على ما لهذه العناصر من أثر تحدثه في نفس المتلقي.

وينتهي مطاف البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها. اما مصادر البحث فكثيرة ومتنوعة،يأتي في طليعتها تفسير الكشاف للزمخشري الذي أغنى البحث بمادته ،والتفسير الكبير للرازي،والتحرير والتنوير لأبن عاشور،لأنها تناولت في دراستها جوانب القرآن المختلفة وبخاصة الجانب البلاغي، فضلا عما افادتني به التفاسير الاخرى والمصادر البلاغية المختصة والمراجع الحديثة ، فقد عملت هذه المصادر والمراجع جميعها على نمو البحث واكتماله بالصورة التي خرج بها.

التمهيد

التمهيد

جولة في آيات النبي موسى عليه السلام

إذا أنعمنا النظر في الآيات الكريمة التي ذكرفيها اسم النبي موسى عليه السلام، صراحة نجد عددها (١٣٥) آية[١]

أما الآيات الأخرى التي ذكرت كلامه مع فرعون ومع بني إسرائيل، ومحاورته الله عز وجل عندما أرسله إلى فرعون ،وتلك التي تناولت مولده ونشأته وخبره مع العبد الصالح، فقد توزعت في كتاب الله عز وجل على السور المكية والمدنية.

إن الحديث عن هذا الموضوع لم يكن من زاوية واحدة ،وانما تعددت زواياه لما اشتمل عليه من عظات ودروس حري بنا أن نتناولها بالدراسة ، فهو من أولي العزم، وذو شريعة مستقلة ،لذلك ذكر في القرآن أكثر من غيره من الأنبياء عليهم السلام ، لأنه أرسل إلى فئتين كانتا على جانب من العناد والقسوة والكفر : فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملئه)، وأخرى استمرأت الذلة والتبعية والاستضعاف (بني إسرائيل) ، لأن الذين أرسل إليهم كان لبعضهم آثاره الباقية الدالة على قوتهم وبطشهم (وهم الفراعنة) ،وكانت لبني إسرائيل شؤون مع المسلمين أصحاب القرآن منذ فجر الرسالة المحمدية. على صاحبها صلاة الله وسلامه . إلى يومنا هذا [٢]

إن الآيات التي تضمنت كلام النبي موسى عليه السلام من غير ذكر اسمه صراحة بلغ عددها (٢٠٦)آيات، فيكون مجموع الآيات الخاصة بالنبي موسى عليه السلام(٣٤١)آية وردت في (٣٣)سورة مكية ومدنية ، و كان لـ(سورة طه) النصيب الأوفر منها، فقد اشتملت على (٧٣) آية ، إذ جاءت معظم آيات هذه السورة متحدثة

---

[١] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي /٦٨٠-٦٨٢.

[٢] ينظر : القصص القرآني : إيحاؤه ونفحاته/ د.فضل حسن عباس /٢٢٤.

عن قصة موسى وهارون . عليهما السلام . بالتفصيل مع فرعون الطاغية ،وموقف المناجاة بين موسى وربه، وموقف تكليفه بالرسالة ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۞ إِذْ رَأى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (١) .

و موقف الجدال بين موسى وفرعون في قوله تعالى : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٢) .

وتتجلى في اثناء تلك القصة رعاية الله لموسى نبيه وكليمه ، في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى۞أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٣) واهلاك الله لأعدائه الكفرة المجرمين،في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى ﴾ (٤).

اشتملت(سورة الأعراف) على (٣٨) آية تناولت قصة كليم الله موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية ،وهي أول السور الكريمة تفصيلا لخبره مع فرعون ومع بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٥)، وتحدثت عما نال بني إسرائيل من بلاء وشدة ثم أمن ورخاء.

واشتملت (سورة القصص) على(٣٧) آية، وسميت بـ (سورة القصص) لان الله تعالى ذكر فيها قصة موسى عليه السلام مفصلة منذ ولادته إلى رسالته ،فقد ذكرت ولادة موسى عليه السلام وخوف أمه عليه من بطش فرعون، والهام الله تعالى لها بالقائه

---

(١) طه/ ٩ – ١٣ .

(٢) طه / ٤٧.

(٣) طه /٣٨-٣٩.

(٤) طه / ٧٧.

(٥) الأعراف / ١٠٣.

في البحر ،ليعيش معززا مكرما في حجرامرأة فرعون ، قال تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [١]، ثم تحدثت عن بلوغ موسى سن الرشد في قوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢]وذكر هجرته إلى أرض مدين وزواجه بابنة شعيب عليه السلام ، قال تعالى :﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [٣] وما كان من أمر فرعون إلى أن أغرقه الله تعالى.

أما سورة الشعراء فقد احتوت على (٣٤) آية تتعلق بقصة الكليم موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية الجبار، وما جرى من المحاورة بينهما في شأن الإله سبحانه وتعالى ، وما أيد الله به موسى من الحجة الدامغة التي تقصم ظهر الباطل ، قال تعالى :﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۞قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ [٤] ، أما سورة البقرة فكانت الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام فيها (٢١) آية، وسميت بـ (سورة البقرة)إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم عليه السلام ، إذ قتل شخص من بني إسرائيل، ولم يعرفوا قاتله ، فعرضوا الأمر على موسى عليه السلام لعله يعرف القاتل ، فأوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة وأن يضربوا الميت بجزء منها، فيحيا بإذن الله ويخبرهم بمن قتله ، وتكون برهانا على قدرة الله تعالى على إحياء الخلق بعد الموت [٥] وهكذا الأمر في باقي السور، حتى تصل الى آية واحدة في بعضها كما في سورة الحج ، والعنكبوت ، والسجدة ، والصف ، والأعلى ، وهناك إشارات الى النبي موسى عليه السلام في (سورة المزمل) ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً۞فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [٦] ، وهي تنبيه لكفار مكة،

---

[١] القصص / ٨.

[٢] القصص / ٤ .

[٣] القصص/ ٢٢.

[٤] الشعراء/ ٢٩-٣٠.

[٥] ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٦/١.

[٦] المزمل / ١٥-١٦.

وتهديد لهم بأن سيصيبهم ما أصاب أولئك لا محالة ،وفي ذلك إيناس للنبي محمد ﷺ .

وإذا تأملنا تلك الآيات وجدناها تحمل العبرة والموعظة للمسلمين في كل زمان ومكان ،لكي يعتبروا بما آل إليه الكافرون من سوء الخاتمة ، والنصر للمسلمين الذين آمنوا بالله واتبعوا الرسول وطبقوا ما جاء في كتابهم.

الفصل الأول

المستوى التركيبي

المسْتوَى الَتركِيبي فِي آياتْ النبِي مُوسى عليه السلام

المَبْحَثْ الأَوْل

الخَبر

(الخبر) لغة: الإعلام، تقول: « (خبرت بالأمر) أي: علمته، و(خبرت بالأمر، اخبره) إذا عرفته على حقيقته، و(الخبر) بالتحريك .: واحد الاخبار، و(الخبر): ما آتاك من نبا عمن تستخبر، و(الخبر): النبا، و(خبره بكذا، واخبره): نبأه»[١].

اما في الاصطلاح: فهو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او الإثبات، وهو المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر[٢]. واختلف علماء البيان في احتمال الخبر للصدق او الكذب، وفي ذلك يقول الخطيب القزويني: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور الى انه منحصر فيهما، ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقته له، وهذا هو المشهور، وعليه التعويل»[٣].

فالخبر إذن «كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهذا التعريف يصدق على كل كلام يؤخذ من غير النظر الى قائله»[٤]، ولكن أخبار القرآن لا تحتمل إلا الصدق، لانها كلام الله المجيد، وكذلك الحقائق العلمية والبديهيات المألوفة تخرج من هذا التعريف، فهي لا تحتمل الشك او الكذب، مع انها أخبار عن شيء[٥]. وعبرت الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام عن الخبر بالجملتين الفعلية والاسمية، وكان

---

[١] لسان العرب (خبر).

[٢] ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،الرازي/٧١.

[٣] الإيضاح ،الخطيب القزويني/١٠.

[٤] أساليب بلاغية،د أحمد مطلوب /٨٩

[٥] ينظر: من بلاغة النظم العربي،د عبد العزيز عبد المعطي عرفة ٢/ ٦٧، وأساليب بلاغية ٨٩- ٩٠، وجواهر البلاغة،أحمد الهاشمي/ ٥٣.

للجملة الفعلية النصيب الأوفر في هذه الآيات، اذ كان الفعل فيها عنصرا يتجدد ويتكرر من خلاله الحدث، فهو عنصر متحرك، غير ثابت ثبات الاسم.

ومن خلال استعراض الجمل القرآنية وما فيها من تراكيب لغوية، نجد تكرار الفعل (آتينا)[١] كثيرا، ولا سيما في قصص الأنبياء عليهم السلام، اذ اشتملت على مظاهر الأنعام والمن من الله تعالى، الى جانب الثناء الرفيع عليهم ورفع مقامهم[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ولقدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مسْحُوراً﴾ [٤]، فهذه الآيات وغيرها[٥] تذكير لبني إسرائيل بنعم الله ومنه عليهم، فالنعم على الآباءمنة عليهم وعلى أبنائهم يجب الشكر عليها.

تلك الجمل القرآنية، التي تدخل في إطار الأسلوب الخبري، يتكرر الفعل (آتينا) في كل جملة منها، مسبوقا بـ (قد) المقرونة بـ(اللام) الموطئة لجواب القسم، لإفادة تحققه، إشارة الى مكانة هؤلاء الأنبياء والمرسلين، وما لهم من قدر عظيم عند ربهم[٦].

ومما ورد بصيغة المضارع لإفادة التجدد والتكرار والاستمرار قوله تعالى:﴿وإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [٧] تذكير لبني إسرائيل: حين خرجتم لتعتذروا الى الله من عبادة العجل، فقلتم: (لن نؤمن) أي: لن نصدق بان ما نسمعه هو كلام الله حتى نرى الله جهرة، ومعنى (لن نؤمن لك) يحتمل: انهم توقعوا الكفر ان لم يروا الله تعالى، أي: انهم يرتدون في

---

[١] وقد تكرر الفعل آتينا (٦٩) مرة، ينظر: المعجم المفهرس لآيات القران / ٨ . ٩.

[٢] ينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ،د. محمود السيد حسن/٢٠٠.

[٣] البقرة/ ٨٧.

[٤] الإسراء/ ١٠١.

[٥] تنظر: السور الآتية: هود / ١١٠، والمؤمنون / ٤٩، والفرقان/ ٣٥، والسجدة/ ٢٣.

[٦] ينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٢٠١.

[٧] البقرة/ ٥٥.

المستقبل عن إيمانهم الذي اتصفوا به من قبل، ويحتمل: انهم أرادوا الإيمان الكامل الذي دليله المشاهدة، أي: ان أحد هذين الإيمانيين ينتفي، ان لم يروا الله جهرة، لان (لن) لنفي المستقبل[١].

منه قوله تعالى في بيان صفات البقرة التي أمرهم الله ﷻ بذبحها، اذ كانوا قد قتلوا نفسا منهم، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه، ولم يكن هناك شاهد، فأراد الله ان يظهر الحق على لسان القتيل ذاته، وذلك بضربه ببعض تلك البقرة بعد ذبحها، وبعد سؤالهم عن لونها وسنها، سألوا عن حال البقرة ليزدادوا بيانا ومعرفة بها، ثم اعتذروا بان البقر الموصوف قد التبس عليهم:﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢]

فاختار التعبير القرآني الفعل المضارع في (تثير) و(لا تسقي) لانه الأنسب لـ(ذلول)، اذ الوصف شبيه بالمضارع، ولان المضارع دال على الحال[٣]. واستحضار تلك الصورة كان السامع يشاهدها[٤] .

وفي قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٥] يواجه التعبير القرآني بني إسرائيل بمواقفهم تجاه الأنبياء، وما كان من سؤ صنيعهم معهم، كلما جاءوهم بالحق الذي لا يوافق أهواءهم ولا يخضع لها، استكبروا عن اتباعهم، ففريقا منهم كذبوهم وفريقا قتلوهم، وجاء التعبير القرآني﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ بصيغة المضارع (تقتلون) بدلا من الماضي (قتلتم)، وفق سنن العرب بالأخبار عن الماضي بالمستقبل، لاستحضار صورة الفعل أمام السامع، حتى لكانه يرى فضاعتهم في قتلهم رسلهم، وتكرار قتلهم،

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير،ابن عاشور ١/ ٥٠٦.

[٢] البقرة/٧٠- ٧١.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٥٥.

[٤] ينظر: الفوائد المشوق الى علوم القران وعلم البيان،ابن قيم الجوزية/ ٣٣.

[٥] البقرة/ ٨٧.

مع ما في صيغته من مراعاة الفواصل، فاكتملت بذلك بلاغة المعنى وبلاغة النظم[١].

وقال تعالى: ﴿يسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً﴾[٢] يقص القران على الرسول ﷺ وعلى الجماعة المسلمة صفحة من تاريخ اليهود مع نبيهم وقائدهم ومنقذهم موسى عليه السلام ، الذي يزعمون انهم يؤمنون به، ولا يؤمنون بـ (عيسى) من بعده وبـ (محمد) ﷺ هذه الجبلة ليست جديدة عليهم، وليست طابع هذا الجيل وحده منهم، انما هي جبلتهم من قديم[٣]، فقال الله ﷻ: (يسألك) بصيغة المضارع، لاستحضار حالتهم العجيبة في هذا السؤال، حتى كان السامع يراهم، (فقد سألوا موسى) والفاء الفصيحة دالة على مقدر دلت عليه صيغة المضارع المراد منها التعجب، أي: فلا تعجب من هذا، فان ذلك شنشنة قديمة لاسلافهم مع رسولهم[٤].

وفي الآية الكريمة﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [٥] يقرر الله ﷻ حقيقة الوحي والرسالة، وان الدين واحد، اذ أرسل الله تعالى جميع المرسلين، بشرائع، وان اختلفت تفاصيلها، إلا ان هدفها واحد، وهو الإسلام الذي بعث به نوحا وموسى وعيسى وسائر الرسل الكرام، ومع ذلك فقد عظم وشق على الكفار ما تدعوهم اليه من عبادة الله والتوحيد الخالص الواضح، الذي دعاهم اليه الرسول الكريم ﷺ ، فجيء بالفعل المضارع (تدعوهم) للدلالة على تجدد الدعوة استمرارها[٦].

---

[١] ينظر: الفوائد المشوق الى علوم القران وعلم البيان /٣٣، ومن بلاغة القران،د.أحمد أحمد بدوي /١١١، والتحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٩٨.

[٢] النساء/ ١٥٣.

[٣] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ٧٩٩.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ١٣- ١٤.

[٥] الشورى/ ١٣.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٥٥، وصفوة التفاسير ١٥/ ٢٠.

اما التعبير بالجملة الاسمية فانه يدل على الثبوت وقد فرق عبد القاهر الجرجاني (رحمه الله تعالى) بين الخبر إذا كان فعلا وبينه إذا كان اسما، وأكد ان كلا منهما لا يصلح ان يقع مكان الأخر، ولا يؤدي ما يؤديه، وذلك بقوله: «واذا ثبت الفرق بين الشيئيين في مواضع كثيرة، وظهر الأمر بان ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، وجب ان تقضي بثبوت الفرق حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الاخر، وتعلم ان المعنى مع أحدهما غيره مع الأخر، كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي، وينعكس لك هذا الحكم، اعني انك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه، كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه ولا يؤدي ما كان يؤديه»[١] .

ففي الآية الكريمة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢] يخبرنا الله ﷻ ببشارته لام موسى بعد ولادة موسى عليه السلام في ظل ظروف قاسية، ولد والخطر محدق به والموت مشرف عليه، والام حائرة به، خائفة عليه، كما هو معروف في قصة ولادته، وهنا تتدخل يد القدرة فتتصل بالام الوجلة القلقة، وتلقي في روعها كيف تعمل: يا ام موسى ارضعيه، فاذا خفت عليه وهو في حضنك وفي رعايتك وتحت عينيك (فالقيه في اليم) لا تخافي على حياته[٣]، ولا تحزني عليه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) بشارة ووعد من الله ﷻ اصدق القائلين، لذلك اثر الجملة الاسمية على الفعلية. (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ولم يقل: (سنرده ونجعله رسولا)، وذلك للاعتناء بالبشارة، لان الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار[٤].

ومن أمثلته قوله تعالى في تصوير التحدي الواضح من السحرة لموسى عليه السلام ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۞قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[٥] ففي تخييرهم لموسى

---

[١] دلائل الأعجاز،عبد القاهر الجرجاني/ ١٤٢.

[٢] القصص/ ٧.

[٣] ينظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٧٨- ٢٦٧٩.

[٤] ينظر: صفوة التفاسير ١١/ ٣١.

[٥] الأعراف/ ١١٥- ١١٦.

بالإلقاء تبدو ثقتهم بسحرهم وبقدرتهم على الغلبة، فعبروا بالجملة الاسمية (نحن الملقون) عن كونهم أهلا للإلقاء اولا، متمكنين منه، وتأمل تخييرهم لموسى في الإلقاء بقولهم: (اما ان تلقي) كيف أفادت الجملة الفعلية معنى الاستصغار لموسى ولما سيأتي به من فعل في منازلتهم، وتجد في إجابة موسى عليه السلام (قال القوا) قلة مبالاته بهم وبسحرهم، وثقته العالية بنصره الله وإسناده له[1]، وهو القائل له:﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾[2].

فالخبر، بوصفه أسلوبا بلاغيا من أساليب (علم المعاني)، كان من الوسائل التي ساعدت على رسم صور تنبض بالحركة، مجسدة الحدث في آيات النبي موسى عليه السلام .

و(الخبر) نوعان: حقيقي ومجازي

.

اولا:الخبر الحقيقي:

هو الخبر الذي يلقى لغرضين[3]: (فائدة الخبر) و(لازم الفائدة).

١ – فائدة الخبر:

ويقوم في الأصل على أساس ان من يلقى اليه الخبر، او من يوجه اليه الكلام يجهل حكمه، أي: مضمونه، ويراد إعلامه او تعريفه به. وهذا يتمثل في جميع الأخبار التي يبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء او أشياء يجهلها، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[4]، يخبرنا الله عز وجل بانه آتى موسى عليه السلام التوراة، وآتى عيسى عليه السلام الآيات البينات والمعجزات الواضحات الدالة على نبوته، وشد أزره بجبريل عليه السلام، افكلما جاءكم يا بني إسرائيل رسول بما لا تهوى

---

[1] ينظر: معترك الأقران، للسيوطي ٢/ ٤٨٢، وفي ظلال القران ٣/ ١٣٤٩.

[2] طه/ ٦٨.

[3] ينظر: علم المعاني، عتيق/٥٢، وعلم المعاني، درويش الجندي/٢٣، وجواهر البلاغة /٥٤.

[4] البقرة/ ٨٧.

انفسكم استكبرتم عن اتباعه، فطائفة كذبتموهم وطائفة قتلتموهم....، فالخبر في هذه الآية اشتمل على وحدة الرسالات السماوية، تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات والرسل جميعا، فالمخاطب كان جاهلا بالحكم الذي تضمنته الآية، ولم يقف على معناه، فجاء أسلوب الخبر عارضا لهذا الحكم والمضمون، وحاملا المخاطب على تدبره والاتعاظ به، والخطاب كان لليهود المعاصرين للنبي محمد ﷺ فكان أسلوب الخبر هو الأقدر على تحقيق ذلك. ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [1] يخبرنا الله ﷻ عن جواب موسى عليه السلام لفرعون الطاغية، عندما دعاه الى عبادة الله وتوحيده، فسال فرعون موسى عن ربه قائلا: من هذا الرب الذي تدعوني اليه يا موسى؟، ولم يقل: (من ربي؟)، دلالة على عتوه وطغيانه، فجاء جواب موسى عليه السلام في غاية البلاغة والبيان، مختصرا ملخصا معنى الألوهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود:﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ هو الذي أبدع خلق كل شيء ثم هداه الى منافعه ومصالحه، وقال الزمخشري في هذا الجواب: ((ما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق))[2].

٢- لازم الفائدة:

لا يقدم شيئا جديدا للمخاطب، وانما يفيد بان المتكلم عالم بالحكم، أي: بمضمون الخبر[3] ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾[4]، يخبرنا الله ﷻ بتكليف موسى عليه السلام بالرسالة، وأمره بان يذهب الى قوم فرعون، ووصفهم بـ (القوم الظالمين)، اذ ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، وظلموا بني إسرائيل بما كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ويعذبونهم بالسخرة والنكال، لذلك يقدم صفتهم ثم يعينهم بالاسم (قوم فرعون)، ولم

---

[1] طه/ ٤٩- ٥٠.

[2] الكشاف، الزمخشري ٣/ ٦٧.

[3] ينظر: علم المعاني، عتيق /٥٢- ٥٣ وعلم المعاني، الجندي/ ٢٣، وجواهر البلاغة /٥٤.

[4] الشعراء/ ١٠- ١١.

يكن أمر فرعون وملئه جديدا على موسى عليه السلام ، فهو يعرفه ويعرف ظلم فرعون وعتوه وجبروته[١].

على ان الخبر ، سواء كان الغرض منه (فائدة الخبر) ام (لازم الفائدة)، لا يأتي على ضرب واحد من القول، وانما ينبغي لصاحب الخبر ان يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر. أدرك العلماء هذه الحقيقة، وعرفوا ان الدقة في التعبير تحتم تركيبا لفظيا معينا، وذلك بان ينقله الى المخاطب في صورة من الكلام تلائم حالته، من غير زيادة ولا نقصان[٢]. ومن الأدلة على ادراك علمائنا لهذه الحقيقة، ما نقله لنا الشيخ عبد القاهر الجرجاني من حوار دار بين الكندي وبين ثعلب: «روي عن ابن الانباري انه قال: ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له: (اني لاجد في كلام العرب حشوا) فقال له أبو العباس: (في أي موضع وجدت ذلك؟)، فقال: (اجد العرب يقولون: (عبد الله قائم)، ثم يقولون: (ان عبد الله قائم)، ثم يقولون: (ان عبد الله لقائم)، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد)، فقال أبو العباس: (بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: (عبد الله قائم) أخبار عن قيامه، وقولهم: (ان عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (ان عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكررالمعاني»[٣].

واستنادا الى هذه المحاورة قسم البلاغيون الخبر على ثلاثة اضرب[٤]:

(الأول): الخبر الابتدائي، ويأتي خاليا من المؤكدات، لان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه، كما في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾[٥]، فالمخاطبون لا يعرفون شيئا مسبقا عما ورد في الآية الكريمة، ولا يشكون في مضمونها، لذلك جاء الخبر خاليا من المؤكدات، لان حال المخاطبين يلزم ذلك.

---

[١] ينظر: في ظلال القران ٥/ ٢٥٨٩.

[٢] ينظر: علم المعاني، عتيق/ ٥٥.

[٣] دلائل الإعجاز/ ٢٤٢.

[٤] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب ٢/ ٤٦٥-٤٦٦.

[٥] الأحزاب/ ٦٩.

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾[1]، جاء الخبر كذلك خاليا من التأكيد، لان المخاطب لا يشك فيه.

(الثاني): الخبر الطلبي، وهو الذي يتردد المخاطب فيه، اذ لا يعرف مدى صحته، فيحتاج الى ان يؤكد له، تقوية للحكم الذي تضمنه، ليتحقق من صحته، فيحل اليقين في نفسه محل الشك[2]، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3]، فقوله تعالى: (انه هو التواب الرحيم): خبر وثناء على الله تعالى، وتأكيده بحرف التوكيد لتنزيلهم منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم، لان حالهم في عظم جرمهم حال من يشك في قبول التوبة، وانما جمع (التواب) مع (الرحيم) لان توبته تعالى عليهم كانت بالعفو عن زلة عبادتهم العجل، وهي زلة عظيمة لا يغفرها إلا الغفار[4].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [5]، فالله ﷻ يعلم حال بني إسرائيل وشكهم وترددهم في قبول صدق الخبر، لذا جاءت جملة الخبر مقترنة بـ(ان) المؤكدة لتنزيلهم منزلة من يشك، لبعد عهدهم بما سألوه، حتى انهم ليشكون في ان يجدوه، من شدة شوقهم للشيء الخسيس[6].

---

[1] الأحزاب /٧.

[2] ينظر: جواهر البلاغة/ ٥٩.

[3] البقرة/ ٥٤.

[4] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني ٥٠٥.

[5] البقرة/ ٦١.

[6] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني ٥٢٦.

من أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]، فقوله تعالى على لسان هارون: (ان القوم استضعفوني) جاء خبرا مؤكدا بحرف التوكيد (إنَّ) لتحقيقه لدى موسى لانه بحيث يتردد فيه قبل إخباره المخبر به، والتأكيد يستدعيه قبول الخبر للتردد من قبل أخبار المخبر به، وان كان المخبر به يظن به الكذب، اولئلا يظن به انه توهم ذلك من حال قومه، وكانت حالهم معروفة عند موسى فجاء التأكيد في موضعه[2].

من أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[3]، جاء الخبر مؤكدا بالحرف (ان)، متوجها الى لازم الفائدة، وهو ان الله ضمن له السلامة، وأكد الخبر لتنزيله بعض قومه أوجلهم منزلة من يتردد فيه، لما رأى من إشفاقهم عليه، فهو خطاب لقومه من بني إسرائيل تطمينا لهم وتسكينا لإشفاقهم عليه من بطش فرعون[4].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]، حكاية كلام موسى عليه السلام مع فرعون، وجاء مؤكدا بـ (ان) لانه وجد منه الإنكار والتردد القوي في صحة الخبر[6].

(الثالث): الخبر الإنكاري، وهو ان يكون المخاطب منكرا للخبر، لذلك يعمد المتكلم الى توكيده له بمؤكد او اكثر، بحسب درجة إنكاره قوة وضعفا[7].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[8] اذ جاء الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد، فؤكد بحرف التأكيد (إن) لدفع الشك عن

---

[1] الأعراف/ ١٥٠.

[2] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ١١٧.

[3] غافر/ ٢٧.

[4] ينظر: التحرير والتنوير ٢٤/ ١٢٦.

[5] الأعراف/ ١٠٤.

[6] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٣٨.

[7] ينظر : علم المعاني ، عتيق /٦٥ .

[8] طه/ ١٤.

موسى، لتنزيله منزلة الشاك، لان غرابة الخبر تعرض السامع للشك فيه، وتوسيط ضمير الفصل بقوله:(انني انا الله) لزيادة الخبر توكيدا، لغرض حصول العلم لموسى بوحدانية الله تعالى، ليؤنس نفس موسى عليه السلام بالخبر، ويحبط ما عساه يعلق بالنفس في مثل هذا الموقف[١].

من أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾[٢] اذ أكد الله عز وجل الخبر بمؤكدين: (لام القسم) و(قد) لتحقيق الخبر، لان موسى عليه السلام قد علم ذلك، فتحقيق الخبر له تحقيق للازمه المراد منه، وهو ان عناية الله به دائمة، ولا تنقطع عنه، زيادة في تقوية قلب موسى بتذكيره، بنعم الله عليه والمن والإحسان. بعد قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [٣] [٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [٥] تقرير لغلبته وقهره، فجاء الخبر مؤكدا بعدة مؤكدات، وهي (ان)، وتكرير الضمير (أنت)، وتعريف الخبر (الأعلى)، ولفظ العلو الدال على الغلبة، وصيغة التفضيل (الأعلى)، و(الأعلى) دليل على ان ما خامره من الخوف انما هو خوف ظهور السحرة عند العامة ولو في وقت ما، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[٦]، ونجد دقة بارعة في تصوير هواجس الخوف التي انبثت فجأة في نفس نبي الله موسى عليه السلام لما رأى حبالهم وعصيهم من سحرهم حيات تسعى، ثم كيف جاء وعد الله له بالغلبة والفوز المستعلي عليهم، مؤكدا بما نرى من المؤكدات، وتعريف المسند باللام، وصياغته على (أفعل) المشيرة الى التفوق، ثم كيف جاءت كلمة (الأعلى) من (العلو)، حتى ينهض بهذه النفس التي استشعرت الوجل في موقف التحدي الجامع، يوم الزينة الذي حشر فيه الناس وهكذا استطاعت جملة الخبر (انك انت الأعلى) ان تبث في نفس موسى السكينة والامن،

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١٩٨.

[٢] طه/ ٣٧.

[٣] طه/ ٣٦.

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم، للعلامة ابي السعود ٣/ ٣٦٤، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٥.

[٥] طه /٦٨.

[٦] طه/ ٦٧.

ان تزيل الوحشة عنها في هذا المقام، وان كان موسى عليه السلام مستوثق اليقين من وعد ربه[١].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى على لسان مؤمن ال فرعون، مخاطبا نبي الله موسى عليه السلام : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢] اذ جاء الخبر مؤكدا بـ (إن) و(اللام) مناسبة لمقتضى الحال[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[٤] جاء الخبر(أنك من الآمنين) تأكيدا لمفاد (ولا تخف)، زيادة في تحقيق أمنه، فالتأكيد بـ (إن) انه من جملة الامنين، اشد في تحقيق الأمن من ان يقال: (انك آمن)[٥].

ان إلقاء الخبر بهذه الطريقة المتدرجة بحسب جهل المخاطب بمضمون الخبر، او شكه فيه، او إنكاره له، هو ما يقتضيه الظاهر. ولكن إيراد الكلام او الخبر لا يكون دائما جاريا على مقتضى الظاهر، فقد تجد اعتبارات تدعو المتكلم الى ان يورد الكلام او الخبر على صورة تخالف الظاهر، او على صورة تخرج به عن مقتضى الظاهر، كما يقول البلاغيون[٦].

ومن هذه الاعتبارات التي تدفع المتكلم الى الخروج بالكلام عن مقتضى الظاهر: الاهتمام بالخبر، كما في قوله تعالى:﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٧]، فتأكيد الخبر في قوله تعالى للاهتمام به، اذ ليس هناك محل للإنكار[٨].

---

[١] ينظر: الكشاف ٣/ ٧٤، وصفوة التفاسير ٩/ ٦٥، خصائص التراكيب ٢٤٢- ٢٤٣.

[٢] القصص/ ٢٠.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ١١/ ٣٨.

[٤] القصص/ ٣١.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٣.

[٦] ينظر: علم المعاني، عتيق/ ٦٥.

[٧] الأعراف/ ١٤٤.

[٨] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٩٥.

والمتأمل لقوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾[1]، يجد ان المخاطب خالي الذهن من الحكم او من مضمون الخبر، فجاء الخبر (أني أنست نارا) مؤكدا بـ (إن) لقصد الاهتمام به، بشارة من موسى لاهله[2].

جاء تأكيد الخبر في قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3] حكاية لكلام ابنه شعيب عليه السلام ، للاهتمام به وإدخال المسرة على المخبر به[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[5] تصدر الخبر حرف التوكيد (إن) «لافادة تأكيد خبر (إن)، وما عطف عليه وتعلق به، مما اشتملت عليه القصة، وهو سوء عاقبة قارون.... ويجوز ان تكون (إن) لمجرد الاهتمام بالخبر، ومناط الاهتمام هو مجموع ما تضمنته القصة من العبر، التي منها انه من قوم موسى فصار عدوا له ولاتباعه، فأمره أغرب من أمرفرعون»[6].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[7] جاءالخبر مؤكدا لغرض التعليل، كما هو الشان في كل مقام لا يقتضي التأكيد[8].

---

[1] طه/ ١٠.

[2] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١٩٤.

[3] القصص/ ٢٥.

[4] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١٠٤.

[5] القصص/ ٧٦.

[6] التحرير والتنوير ٢٠/ ١٧٥- ١٧٦.

[7] طه/ ١٢.

[8] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١٩٧.

وهكذا جاء أسلوب الخبر في آيات النبي موسى عليه السلام ، كما في آيات القران الكريم الأخرى، متلونا ومتنوعا، فيأتي مرة خاليا من التأكيد، ويأتي مرة أخرى، مؤكدا بمؤكد واحد، ويأتي مرة ثالثة مؤكدا بمؤكدين او اكثر، بحسب مقتضى حال المخاطب.

وخروج الخبر عن مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية، يوضح لنا القيمة البلاغية لاضرب الخبر المختلفة، ويجسد بلاغة القران الكريم، ويحقق الهدف والعبرة من رواية الأخبار الماضية وحكاية ما جرى للأقوام البائدة التي لم يبق منها اثر لو لا القران الكريم الذي ذكر لنا قصص تلك الأمم ورسلهم ومواقفهم مع رسلهم وعقاب الله للكافرين منهم.

ثانياً:الخبر المجازي:

عرفنا ان الأصل في الخبر ان يلقى لغرضين، هما: (فائدة الخبر) و(لازم الفائدة)، وان المتكلم يقصد من الخبر إعلام المخاطب شيئا لا يعرفه، سواء كان هذا الشيء فائدة الخبر او ما يلزم هذه الفائدة[1].

ولكن الخبر قد يخلو من قصد الأخبار والإعلام، فيخرج عن غرضية الأصليين، الى أغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، والمرجع في معرفة هذه الأغراض هو الذوق السليم وحسن الفهم، ومن هذه الأغراض التي خرج اليها في الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام :

١- التبكيت والتوبيخ: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[2]، فالنص الكريم يخاطب به الله بني إسرائيل يذكرهم بان موسى عليه السلام قد جاءكم بالحجج الباهرات، ثم اتخذتم العجل، أي: عبدتم العجل بعد ذهابه الى الطور وانتم ظالمون لانفسكم بهذا الصنيع، فالتوبيخ والتكبيت تأتت لنا معرفته بفضل المقام، وما يوحي به من غرض أسلوبي سيقت اليه الآية القرآنية، فخروج أسلوب الخبر الى التوبيخ والتبكيت موافق لحالهم ولائق بمقامهم، وقد عرفنا

---

[1] ينظر: علم المعاني، درويش الجندي/ ٣١.

[2] البقرة /٩٢.

ذلك بفضل سياق الكلام وقرينه الحال، ليتسق المعنى مع قصد الآية، وقوله تعالى في نهاية الآية (وانتم ظالمون) أي: ظلمتم أنفسكم بعبادتكم العجل، لانكم وضعتم العبادة في غير موضعها[١].

٢- التعجب: قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٢]، يخبرنا الله ﷻعن موقف بني إسرائيل من نبيهم عليه السلام، ويتعجب من طلبهم بان يجعل لهم الها يعبدونه، لانهم قوم يجهلون عظمة الله، وما يجب ان ينزه عنه من الشريك والنظير، تعجب من قولهم بعد ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكده، لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا أشنع[٣].

٣- البشارة: فالخبر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤] بشارة لموسى عليه السلام ببركة النبوة، فالخبر هنا خرج عن مقتضى الظاهر، وأفاد معنى مجازيا، «والعدول عن ذكره بضمير الخطاب كما هو مقتضى الظاهر، او باسمه العلم ان أريد العدول عن مقتضى الظاهر، لان في معنى صلة الموصول إيناسا له وتلطفا»[٥].

٤- الأمر بالتثبت: فالغاية من الخبر في قوله تعالى﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[٦]. تثبيت الذين آمنوا بموسى عليه السلام في حضرة فرعون، فالمعنى انه يدعوهم جميعا الى التوكل على الله، ان كنتم أقررتم بوحدانية الله حقا كما أظهرته أقوالكم، فانه لن يخذل أولياءه، فعليه اعتمدوا في نصركم ودفع الضر عنكم، ولا تعتمدوا في ذلك على أنفسكم[٧].

---

[١] ينظر: الكشاف ١/ ١٦٦.

[٢] الأعراف/ ١٣٨.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٣٩.

[٤] النمل/ ٨.

[٥] التحرير والتنوير ١٨/ ٢٢٦.

[٦] يونس/٨٤.

[٧] ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٠٦٥/٢، والتحرير والتنوير ١١/ ٢٦١.

٥- التمهيد للدعاء: اذ ليس المقصود من الخبر في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [١] حقيقة الأخبار، لان موسى عليه السلام يوقن بان الله يعلم ذلك، فيتعين ان الخبر مستعمل في التمهيد لطلب سلب النعمة منهم، خوفا مما ينشا عنها من إضلال الناس عن سبيلك، اما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين، واما بالقوة التي يمنحها المال لاصحابه، فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين اوغوائهم. ووجود النعمة في أيدي المفسدين يزعزع كثيرا من القلوب التي لا تبلغ من يقينها بالله ان تدرك ان هذه النعمة ابتلاء واختبار، وانها ليست شيئا ذا قيمة الى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة ثم الانتقال الى الدعاء بسلب ما اوتوه، فاقتران الخبر بالحرف (إن) في قوله تعالى: (انك أتيت فرعون وملاه زينة وأموالا) مقصود به الاهتمام بهذا المعنى الذي استعمل فيه الخبر اذ ليس المقام مقام دفع تردد او دفع إنكار [٢].

٦- التسلية: اذ جاءت الآية الكريمة﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [٣] عزاء للنبي محمد ﷺ وتسرية لهمومه التي يعالجها من اختلاف قومه عليه، فهذه ليست حال هؤلاء القوم وحدهم، وانما هي حال أهل الضلال، في كل أمة وكل جبل، مع رسل الله وآيات الله، فالقصد من الخبر تثبيت النبي محمد ﷺ بمعنى: لا تأس من اختلاف قومك عليك، فلست الأوحد في ذلك، فقد لقي موسى من قومه، هؤلاء الذين يراهم المشركون بينهم من اليهود، ما لقي من العناد والتكبر، وقد أوتي التوراة، فاختلف الذين دعاهم في ذلك، فمنهم من آمن ومنهم من كفر [٤].

٧- التعظيم: فالخبر في قوله تعالى﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ

---

[١] يونس /٨٨.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٢٦٩.

[٣] فصلت/ ٤٥.

[٤] ينظر: التفسير القرآني للقران ٤/ ١٣٣٣.

تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). خرج الى معنى التعظيم والتنزيه لله مما لا يجوز عليه سبحانه من الرؤية وغيرها، ولذا قال موسى عليه السلام: تبت اليك يا رب من سؤالي رؤيتك في الدنيا، وانا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك، وبانك لست بمرئى ولا مدرك بشيء من الحواس(٢).

٨- التضرع والاستسلام: فالخبر في قوله تعالى:﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (٣) خرج عن غرضه الأصلي الى غرض أخر، هو التضرع والتسليم المطلق للقدرة المطلقة من قبل ومن بعد، يقدمه موسى بين يدي دعائه ربه ان يكشف عن القوم غضبه، وان يرد عنهم فتنته، والا يهلكهم بفعلة السفهاء منهم، قاله على وجه التضرع والاستسلام لامر الله: لو شئت يا رب ان تهلكنا قبل ذلك لفعلت، فنحن عبيدك وتحت قهرك وانت تفعل ما تشاء(٤).

٩ - الأمر: ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٥).

يخبرنا الله عزوجل بما أوحي به الى ام موسى وألهمها ما يلهم به في مثل حالها، ذلك الإلهام ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ، حركات كلها عنف وكلها خشونة... قذف في التابوت بالطفل، وقذف في اليم بالتابوت، وإلقاء للتابوت على الساحل(٦)، وجاء الخبر بصيغة الأمر مبالغة في القطع بوقوعه، إذا الأمر اقطع

---

(١) الأعراف/ ١٤٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/ ١٥٥.

(٣) الأعراف/ ١٥٥.

(٤) ينظر: في ظلال القران ٣/ ١٣٧٧، وصفوة التفاسير ٤/ ٤٥- ٤٦.

(٥) طه/ ٣٨- ٣٩.

(٦) ينظر: في ظلال القران ٤/ ٢٣٣٤.

الأفعال وأوجبها، وأشار الزمخشري الى ان إخراج الأمر في صورة الخبر ابلغ من صريح الأمر، لانه يفيد تأكيد الأمر والمبالغة في الحث عليه، حتى كانه سورع فيه الى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه[١].

١٠- النصح والإنذار: ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [٢] يخبرنا الله ﷻ عن المباراة التي جرت بين السحرة وموسى عليه السلام يوم الزينة، لابطال آيات الله ومعجزاته التي جاء بها موسى عليه السلام رأى موسى قبل الدخول في المباراة، ان يبذل لهم النصيحة، وان يحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله، لعلهم يثوبون الى الهدى، ويدعون التحدي بالسحر، وقد كان لهذه الكلمة الصادقة اثر في بعضهم[٣].

١١- الاعتذار: ففي قوله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [٤] يخبرنا الله ﷻ عما كان عن موسى عليه السلام ، فقد واعده الله ان يلقاه بعد أربعين يوما، لتلقي التوراة التي سيقيم عليها حياة بني إسرائيل الجديدة، بعد ان استخلصهم من الذل والاستعباد، ليصوغ منهم أمة رسالة ذات تكاليف. فواجهه الله ﷻ بشيئيين، «أحدهما: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه، فكان أهم الأمرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه، فاعتل بانه لم يوجد مني إلا تقدم يسير»[٥]، وعجلت بالمجيء لتزداد رضى عني، اعتذر موسى أولا ثم بين السبب في إسراعه قبل قومه، وهو الشوق الى مناجاة الله ابتغاء رضاه[٦].

---

[١] ينظر: معترك الأقران ١/ ١٩٥.

[٢] طه/ ٦١.

[٣] ينظر: في ظلال القران ٤/ ٢٣٤١، وصفوة التفاسير ٨/ ٦٢.

[٤] طه/ ٨٣- ٨٤.

[٥] الكشاف ٣/ ٨١.

[٦] ينظر: صفوة التفاسير ٨/ ٦٧.

١٢- النفي: ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [١] يخبرنا اللهﷻ بما قاله موسى عليه السلام للسحرة، بعد ان وصفوا ايات الله بالسحر، «فالسحر لا يستهدف هداية الناس، ولا يتضمن عقيدة، وليست له فكرة معينة عن الألوهية وعلاقة الخلق بالخالق، ولا يتضمن منهاجا تنظيميا للحياة، وما كان الساحرون ليؤدوا عملا يستهدف مثل هذه الاغراض، وما كانوا ليفلحوا وكل عملهم تخييل وتزييف»[٢]، فنفى موسى عليه السلام عن آيات الله ان تكون سحرا، وارتقى فأبان لهم فساد السحر وسوء عاقبة معالجية تحقيرا لهم[٣].

وفي قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٤] يخبرنا اللهﷻ عن رد موسى عليه السلام على قومه، بعد ان اخبرهم بان الله يأمرهم ان يذبحوا بقرة للتعرف على قاتل القتيل، والقصة معروفة، فنفى موسى ان يتخذ اسم الله وأمره مادة مزاح وسخرية، وبالغ في التنزيه «بقوله (أعوذ بالله)، لان العياذ بالله ابلغ كلمات النفي، فان المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى وصيغة (ان أكون من الجاهلين) ابلغ في انتفاء الجهالة من ان لو قال: (أعوذ بالله ان اجهل) »[٥].

١٣- الشكاية: فالخبر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [٦] خرج عن مقتضى الظاهر الى معنى الشكاية واستثارتهم موسى ليدعو ربه ان يفرج كربهم[٧].

---

[١] يونس/ ٧٧.

[٢] في ظلال القران ٣/ ١٨١٣.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٢٥٠.

[٤] البقرة/ ٦٧.

[٥] التحرير والتنوير ١/ ٥٤٨.

[٦] الأعراف/ ١٢٩.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٦١.

١٤- الاستعطاف والاسترحام: ففي قوله تعالى:﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [١] خرج الخبر الى غرض مجازي هو الاستعطاف وطلب الرحمة من الله ﷻ قصد النبي موسى عليه السلام بكلامه: اني يا رب محتاج الى فضلك وإحسانك والى الطعام الذي أسد به جوعي[٢].

١٥- الذم: ففي الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٣] يخبرنا الله ﷻ بخطاب موسى عليه السلام لعبدة العجل، من السامري واشياعه، او لوجوه بني إسرائيل، وهم هارون عليه السلام والمؤمنون منهم، يدل عليه قوله: (أخلفني في قومي) فالخبر خرج عن معناه الحقيقي الى الذم، أي: بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل بدل عبادة الله، او حيث لم تكفوا من عبد غير الله بعد ما رأيتم مني من توحيده الله، ونفي الشركاء عنه، وإخلاص العبادة له[٤]. «بئس العمل عملتم بعدي، يقال: خلفه بما يكره»[٥].

وجدنا الخبر في الآيات الكريمات قد خرج عن معناه الحقيقي الى معان وأغراض بلاغية، فهمت من السياق والتذوق السليم وقرائن الاحوال، والاخبار بنوعيها رمت الى إيصال المعنى وجذب انتباه السامعين ليتدبروا كلام الله ﷻ وليفهموا معناه.

---

[١] القصص/ ٢٤.

[٢] ينظر: صفوة التفاسير ٣٤/١١، والمعاني في ضوء أساليب القران، عبد الفتاح لاشين /١٢٣.

[٣] الأعراف/ ١٥٠.

[٤] ينظر: الكشاف ٢/ ١٦٠- ١٦١، والتفسير الكبير، الرازي ١٥/ ١٠، وفتح القدير، الشوكاني ٢/ ٢٤٨.

[٥] الجامع لاحكام القران، القرطبي ٧/ ٢٨٧.

المبحث الثاني

أحوال الجملة

سنتحدث في هذا المبحث عن بنية التراكيب النحوية والبلاغية التي تنوعت أشكالها التعبيرية بتنوع الأغراض والمقاصد:

التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير مظهرا من مظاهر كثيرة تمثل قدرات تعبيرية يديرها المتكلم الفطن إدارة حية وواعية، فيسخرها تسخيرا منضبطا للبوح بأفكاره وألوان أحاسيسه ومختلف خواطره، ومواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة، كما هي شديدة الحساسية، واي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وألوان الحس وظلال النفس[١].

والأصل في اللغة ان يتقدم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل، والعمدة على الفضلة. وقد تخرج الجملة عن ترتيبها المعروف لغرض ابداعي، فيتقدم المتأخر على المتقدم، ليكون له موقع متميز في نفس المتلقى، وقد حرصت الجملة، في القران الكريم على ان يكون التقديم دليلا على هدف، حتى تصبح الاية، بتكوينها، تابعة لمنهج نفسي، يتقدم عندها ما تجد النفس ان تقديمه افضل من التأخير[٢]، فهو «بمثابة منبهات فنية يعمد اليها المبدع لخلق صورة فنية متميزة»[٣].

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أهمية هذه الظاهرة بقوله: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويقضي بك

---

[١] ينظر: دلالات التراكيب، د.محمد أبو موسى/ ١٧٥.

[٢] ينظر: من بلاغة القران / ١١٢.

[٣] البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب/ ٢٠١.

الى لطيفه. ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان الى مكان»[١]، ولم يستعمله العرب في كلامهم إلا دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في النفوس حسن موقع وعذوبة مذاق، وفي معانيه ثقة بصفاء اذهانهم، وهدفهم منه ان يكون اللفظ وجيزا بليغا[٢].

ولبيان اثر التقديم والتأخير في إبراز المعنى وجذب الانتباه، لا بد من الوقوف عليه في الآيات، وتوضيح أسراره البلاغية، ويمكننا تقسم أحوال التقديم والتأخير على قسمين:

أولا: تقديم ما رتبته التأخير:

متى ما أشكل معناه ظاهرا، ولم يتضح إلا بالتقديم[٣]، ومنه تقديم المفعول على فعله، والحال على صاحبها، والظرف والجار والمجرور على العامل، وتقديم الخبر على المبتدأ، ونحو ذلك، وهو يفيد في الغالب الاختصاص[٤]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٥]، اذ تقدم الجار والمجرور (فعليه)، على متعلقة (توكلوا)، لافادة معنى القصر، واثبات التوكل على الله دون سواه. فلو تأخر الجار والمجرور لم يعط هذا المعنى.

وجملة(انْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)شرط ثان مؤكد لشرط(إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ)، بين ان كمال الإيمان يكون بتفويض الأمر الى الله وحده، لما علمتم من عظمته التي لا يدانيها شيء سواه. وجواب هذا الشرط دل عليه قوله(فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) [٦].

---

[١] دلائل الإعجاز/ ٩٦.

[٢] ينظر: الفوائد المشوق الى علوم القران وعلم البيان /٨٢.

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣/ ٢٣٩، وأساليب بلاغية /١٦٩.

[٤] ينظر: التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي /٤٨.

[٥] يونس/ ٨٤.

[٦] ينظر: الكشاف ٢/ ٣٦٤، ونظم الدرر ٩/ ١٧٧.

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١)، قدم المسند اليه (اسم الجلالة) على الخبر الفعلي لافادة القصر(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ) ، فالله يصطفي ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ردا على المشركين الذين أنكروا ان يحمل بشر رسالة من عند الله، واكبروا ان يكون مؤمن ضعيف خيرا منهم(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (٣) تقدم المفعول في (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)للاهتمام وتشويق السامع الى ما يلقى اليه، لان سياق الآية في الكلام على الأنبياء وإرسالهم فرقا متتابعة، فاللهﷻ يقص على المسلمين من أنباء بني إسرائيل وموقفهم مع أنبيائهم يبينه ويقرره ثم يجابههم بموقفهم من الرسالة الجديدة(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞هَارُونَ أَخِي﴾ (٥) قدم المفعول الثاني (وزيرا) على المفعول الأول (هارون) للاهتمام والعناية بأمر الوزارة، اذ طلب ان يعينه الله بمعين من أهله، هارون اخيه، فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب، وكان موسىعليه السلام حاد الطبع، سريع الغضب، فطلب الى ربه ان يعينه بأخيه، يشد به ازره، ويعينه على التروي في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٧)، جاء تقديم (غير الله) في الاستفهام الانكاري للمبالغة والتعجب، فالتقديم يعطي القوة

---

(١) الشورى/ ١٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٥٥.

(٣)البقرة/ ٨٧.

(٤) ينظر: الكشاف ١/ ١٦٢، و صفوة التفاسير ١/٦٤.

(٥) طه/ ٢٩- ٣٠.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ٦١.

(٧)الأعراف/ ١٤٠.

لهذا الإنكار، «أغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة، ولا تشركوا به غيره»[١]، وفي قوله تعالى: (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) جاء المسند فعلا ليفيد تقديم المسند اليه عليه تخصيصه بذلك الخبر الفعلي، أي: هو فضلكم، لم تفضلكم الأصنام، فكان الإنكار عليهم تحميقا لهم في انهم مغمورون في نعمة الله ويطلبون عبادة ما لا ينعم[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [٣] جاء تقديم الجار والمجرور (لي) على متعلقة ليحصل الإجمال ثم التفصيل، فيفيد مفاد التأكيد من اجل تكرر الإسناد[٤]، لما أمره الله بالذهاب الى فرعون الطاغي- لعنة الله- عرف انه كلف أمرا عظيما، وخطبا جسيما، يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جاش، لذلك طلب الى به ان يشرح له صدره، لذلك قال (لي) في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ قد أبهم الكلام أولا فقيل: (اشرح لي) و(يسر لي)، فعلم ان ثم مشروحا وميسرا، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان أكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من ان يقول (اشرح صدري ويسر أمري) على الإيضاح الساذج، لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الأجمال والتفصيل[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [٦] قدم المجرور في قوله (به يعدلون) للاهتمام به ولرعاية الفاصلة، اذ لا مقتضى لارادة القصر، بقرينه قوله (يهدون بالحق) حيث لم يقدم المجرور، والمعنى انهم يهدون الناس، من بني إسرائيل او من غيرهم، ببث فضائل الدين الإلهي، وهو الذي سماه الله بالحق، و(يعدلون) أي: يحكمون حكما لا جور فيه[٧].

---

[١] الكشاف ٢/ ١٥٠.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٨٤.

[٣] طه/ ٢٥- ٢٦.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢١١.

[٥] ينظر: الكشاف ٣/ ٦٠- ٦١، ومعترك الإقران ١/ ٢٧٢.

[٦] الأعراف / ١٥٩.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ١٤٢.

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [١] يجوز ان يكون (بآياتنا) قد تقدم على متعلقة في هذا الوجه (أي: تغلبونهم وتقهرونهم بآياتنا التي نؤيدكما بها)، فالتقديم في هذا الوجه للاهتمام بعظمة الآيات التي سيعطيانها[٢]. و((الباء يجوز ان تكون حرف قسم تأكيدا لهما بانهما الغالبون وتثبيتا لقلوبهما))[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [٤] قدم الجار والمجرور (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)، ولو تأخر فلا يفهم انه فيهم، فيكون إخلالا ببيان المعنى، فالمقدم صفة لـ(رجل)[٥]، ولو أخر عن (يكتم إيمانه) فقيل: (رجل مؤمن يكتم إيمانه من ال فرعون) لتوهم انه متعلق بـ(يكتم)، وانه ليس صفة لـ(رجل)، أي: يكتم إيمانه خوفا من ال فرعون، فلا تدل على انه منهم، ولكن المراد من الآية: ان الرجل المؤمن هو من ال فرعون، ولذلك قدم الجار والمجرور[٦].

وفي قوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [٧]، قوله تعالى على لسان ابنه شعيب عليه السلام (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) ((كلام حليم جامع، لا يزاد عليه، لانه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، اعني: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة، عن ان تقول: استأجره لقوته وأمانته))[٨]. وجعل (خير من استأجرت) اسما لـ(إن)، و(القوي الأمين) خبرا لها،

---

[١] القصص / ٣٥.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٨.

[٣] المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[٤] غافر / ٢٨.

[٥] ينظر: الكشاف ٤/ ١٦٢.

[٦] ينظر: خصائص التراكيب/ ٢٩٥.

[٧] القصص / ٢٦.

[٨] ينظر: الكشاف ٣/ ٤٠٣- ٤٠٤.

والعناية هي سبب التقديم[١]، فأوثر بالتقديم في جزأي الجملة ما هو أهم وأولى بالعناية، وهو (خير أجير)، لان الجملة سيقت مساق التعليل لجملة (استأجره)، فوصف الأجير أهم ونفس السامع اشد ترقبا لحاله[٢].

ثانياً: تقديم الألفاظ بعضها على بعض بحسب مقتضى الحال:

لهذا النوع من التقديم والتأخير أسباب كثيرة، منها التعظيم والتشريف، والبذل، او السبق اما زمانا واما تكليفا وما تقدم للتنبيه او للكثرة او للترقي من أدنى الى أعلى او لافادة التخصيص وغيرها، فكل حسب مقتضى الحال وما يقتضيه من القول وسياق التعبير[٣].

وجاء هذا النوع من التقديم والتأخير في آيات النبي موسى عليه السلام واظهر عناية واضحة بما هو مقدم على غيره.

جاء في الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [٤] تقديم صفة الله تعالى قبل إصدار أمره له بإلقاء العصا، وكذلك جاء تقديمها في سورة النمل[٥]، وذلك للدلالة على ان جميع الخلائق مسخرة لله عز وجل ليثبت قلب النبي موسى عليه السلام من هول تلقي الرسالة[٦].

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [٧] قدم الله عز وجل السمع على البصر، حين قال موسى في فرعون﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا

---

[١] ينظر: المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١٠٥.

[٣] ينظر: البرهان في علوم القران ٣/ ٢٣٩، وأساليب بلاغية /١٦٩- ١٧٠.

[٤] القصص/ ٣٠- ٣١.

[٥] النمل/ ٩- ١٠.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٢.

[٧] طه/ ٤٦.

أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [1] فقال الله تعالى: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، انه القوي الجبار المتكبر المتعال وانه معهما، وكان هذا الإجمال يكفي، ولكنه يزيدهما طمأنينة، ولمسا بالحس للمعونة: (اسمع وارى) فتقديم السمع يوحي بالقرب، اذ الذي يسمعك يكون في العادة قريبا منك، بخلاف الذي يراك، فانه قد يكون بعيدا، وان كان الله لا يند عن سمعه شيء[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [3] قدم ذكر قتله النفس على ذكر الانجاء من الغم، لتعظيم المنة، حيث افتتحت القصة بذكر جناية عظيمة التبعة وهي قتل النفس، حيث استنصره الإسرائيلي على قبطي كان يتشاجر معه، فوكزه موسى عليه السلام فقضى عليه، فيكون لقوله (فنجيناك) موقع عظيم من المنة، اذ أنجاه الله من عقوبة لا ينجو من مثلها مثله[4].

هكذا يظهر لنا ان أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية التي تفصح عن قدرة المنشئ وفصاحته وحسن تصرفه في الكلام، من اجل هدف معين، داعيا الفكر الى تأمله ومحركا النفس نحو الهدف المقصود من التقديم والتأخير.

الحذف:

من مباحث الجملة التي عني بها علماء البلاغة: الحذف، فترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا انت حذفت أحد ركني الجملة او شيئا من متعلقاتها، وان قدرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام الى غث سفساف ونازك ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولا[5]، وتكلم البيانيون على الحذف في موضعين:

أحدهما: حذف الكلمة سواء أكانت مسندا اليه ام مسندا ام مفعولا.

---

[1] طه/ ٤٥.

[2] ينظر: التعبير القرآني /٥٣.

[3] طه/ ٤٠.

[4] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٠.

[5] ينظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي /٩٢.

والأخر: حذف تحدثوا عنه في (باب الإيجاز): «وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا مما زاد معناه على لفظه»[١].

كما ان بعض من كتب في (علوم القران) تحدثوا عن حذف المبتدأ والخبر والمضاف اليه والمفعول وغير ذلك مما نجده في مثل كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي[٢].

قال عبد القاهر الجرجاني- رحمه الله- مبينا بلاغة الحذف: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون، إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.... ورب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد»[٣]. وحدد البلاغيون، بعد عبد القاهر، سياقات الحذف في شكل إطارات ثابتة تنضوي تحت شرطين أساسيين:

الأول: وجود ما يدل على المحذوف من القرائن.

والثاني: وجود السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر[٤].

وللحذف أغراض بلاغية كثيرة، سواء أكان المحذوف مبتدأ، ام خبرا، ام مفعولا به، ام فعلا. والقران الكريم يعمد الى حذف بعض الكلمات او الجمل، لوجود ما يدل عليها، ولان حذفها ينطوي على بعض الأسرار التي يقتضيها المقام، ولا يتم المعنى المقصود إلا بها[٥]، فهو يعتمد على ذكاء قارئه، فيحذف من الجمل ما يستطيع ان يدركه، لان السياق يستلزمه ويستدعيه وعلى كل الأحوال: «فما من اسم او فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها، إلا وانت تجد حذفه هناك احسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وانس من النطق به»[٦].

---

[١] المثل السائر، أبن الأثير ٢/ ٢٧٥.

[٢] ينظر: البرهان في علوم القران ٣/ ١٥٣.

[٣] دلائل الإعجاز /١٢١- ١٢٥.

[٤] ينظر: البلاغة والأسلوبية /٢٤٣.

[٥] ينظر: من أسرار البلاغة في القران،د.محمود السيد شيخون /٣١.

[٦] دلائل الإعجاز /١٢٦- ١٢٧.

فمن أمثلة الحذف في آيات النبي موسى(عليه السلام) قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (١)، أي: هذا ساحر كذاب، ويريدون بقولهم هذا موسى(عليه السلام) ويقصدون بهذا الحذف ان قولهم (ساحر) لا ينصرف عند الإطلاق إلا الى موسى(عليه السلام) زعما منهم ان هذه الصفة غالبة عليه، وفي الحذف إشارة الى استخفافهم- لعنهم الله- وقلة اعتدادهم بنبي الله موسى(عليه السلام) (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٣) استغني عن ذكر الموعود به لظهوره من صيغة المواعدة، وقيل (المفاعلة) على بابها بتقدير ان الله وعد موسى ان يعطيه الشريعة وأمره بالحضور للمناجاة، فوعد موسى ربه ان يمتثل لذلك، فكان الوعد حاصلا من الطرفين، سوغ حذفه علم المخاطبين به(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ (٥)، يخص(عز وجل) الصلاة بالذكر، لان الصلاة اكمل صورة من صور العبادة، واكمل وسيلة من وسائل الذكر، حيث تتهيأ النفس لهذا الغرض وحده، وتتجمع للاتصال بالله، و(اللام) في قوله تعالى يجوز ان تكون للتوقيت، أي: أقم الصلاة عند الوقت الذي جعلته لذكري(٦). وفي الكلام حذف دل عليه السياق.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٧)، يتوجه كل من موسى وهارون- عليهما السلام- الى ربهما بمخاوفهما من فرعون وطغيانه، وقد حذف متعلق (يطغى) لتنزيهه عن التصريح به في هذا المقام، والتقدير: او ان يطغى على الله بالتنقيص او ان يقول في الله ما لا ينبغي لجرأته

---

(١) غافر /٢٣- ٢٤.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/ ١٦٠، وخصائص التراكيب /١٣٠.

(٣) البقرة/٥١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٤٩٧.

(٥) طه/ ١٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٠١.

(٧) طه/ ٤٥.

وقسوة قلبه، فيتصلب في كفره ويعسر صرفه عنه، وفي التحرز من ذلك غيرة على جانب الله تعالى، وفيه أيضا تحرز من رسوخ عقيدة الكفر في نفس الطاغي، فيصير الرجاء في إيمانه بعد ذلك اضعف منه فيما قبل، وتلك مفسدة في نظر الدين، وحصلت مع ذلك رعاية للفاصلة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [٢]، يصور السياق وقع المفاجأة في نفوس السحرة، و(الفاء) عاطفة على محذوف، يدل عليه قوله (والق ما في يمينك)، والتقدير فألقى فتلقفت ما صنعوا، و(الإلقاء): الطرح على الأرض، واسند الفعل الى المجهور، لانهم لا ملقي لهم إلا أنفسهم، فكأنه قيل: فالقوا أنفسهم سجدا. فان سجودهم كان إعلانا عن اعترافهم بان موسى مرسل من الله، ويجوز ان يكون سجودهم تعظيما لله تعالى[٣] وانما حسن الحذف لدلالة المعنى عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [٤]، يخبرنا الله ﷻ بما قالته امرأة فرعون لفرعون عندما التقطوا موسى عليه السلام من البحر، فـ (قرة عين) خبر لمبتدأ محذوف[٥]، تقديره: «هذا الطفل، وحذفه لانه دل عليه حضوره بين أيديهم، وهو على حذف مضاف، أي: هو سبب قرة عين لي ولك»[٦].

ومنه في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [٧]، حذف متعلق الخروج لدلالة المقام، أي: فاخرج من المدينة[٨].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٧- ٢٢٨.

[٢] طه /٧٠.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٧- ٢٢٨.

[٤] القصص /٩.

[٥] ينظر: الكشاف ٣/ ٣٩٤.

[٦] التحرير والتنوير ٢٠/ ٧٨.

[٧] القصص/ ٢٠.

[٨] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ٩٦.

من خلال الآيات السابقة والآيات القرآنية الأخرى[١] التي ورد فيها الحذف نجد انه يمنح التركيب سمة إبداعية لم تكن لتوجد بذكر المحذوف «ورب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد»[٢].

حذف المفعول في آيات النبي موسى عليه السلام :

اما حذف المفعول فان اللطائف فيه اكثر واعجب، وما تظهر بسببه من الحسن والرونق اعجب واظهر[٣]. قال ابن هشام: جرت عادة النحويين ان يقولوا بحذف المفعول اختصارا واقتصارا، ويريدون بالاختصار: الحذف لدليل، وبالاقتصار: الحذف لغير دليل، ويمثلون له بنحو (كلوا واشربوا) [٤] أي: أوقعوا هذين الفعلين[٥].

ولحذف المفعول أسباب وأغراض بلاغية كثيرة، منها:

البيان بعد الإبهام، او يحذف لرعاية الفاصلة، وغيرها من الأسباب[٦]. وعندما يكون المفعول معلوما لا يتصور غيره، ولكننا نحذفه لغرض هام، وقصد بارع، وهو ان تتوجه النفوس لاثبات الفعل للفاعل، كانما لا نرى داعيا ان نشغلهما بالمفعول، لكونه معلوما من جهة، ولكونه لا يتعلق به كثير فائدة من جهة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [٧]

في هاتين الآيتين حذف المفعول به في أربعة مواضع هي: (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقي) و(فسقى لهما)، اذ المعنى: وجد أمة من الناس يسقون مواشيهم، وامرأتين تذودان مواشيهما، وقالتا لا نسقي مواشينا، فسقى لهما مواشيهما. لان الغرض ان

---

[١] تنظر: السور طه /٢٣، والقصص/ ١٥، والقصص /٢٠، القصص /٣٦.

[٢] دلائل الإعجاز ١٢٥.

[٣] ينظر: دلائل الإعجاز /١٢٧، والمثل السائر ٢/ ٣٠٤.

[٤] البقرة /٦٠.

[٥] ينظر: معترك الإقران ١/ ٢٣٤.

[٦] ينظر: دلائل الإعجاز /١٢٧- ١٢٨.

[٧] القصص / ٢٣-٢٤.

يعلم انه كان من الناس سقي، ومن الامراتين ذود، وانهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وانه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقي، فاما كون المسقي غنما او إبلا او غير ذلك فخارج عن الغرض، وانما حذف ليتوفر الكلام على إثبات الفعل للفاعل، وكان سيدنا موسى عليه السلام رق لهما لما كان منهما سقي وذود، ولو ذكر المفعول وقال: غنمهما، لأوهمت العبارة ان سيدنا موسى عليه السلام رق لذودهما الغنم، ولو كان منهما ذود ابل لجاز ان يدعهما سيدنا موسى عليه السلام ولفسد المعنى المراد، لانه لا يمكن ان يقال انه فعل ذلك لان الذين كان معهما ابل لا غنم[1]. فحذف المفعول هنا قد ركز انتباه المتلقي على الحدث دون سواه، اذ لم يعقب بذكر المفعول به، حتى ينتقل ذهن السامع اليه، ويأخذ حيزا من انتباهه وتفكيره، فإبراز الحدث، مع إسقاط متعلقه، يكون مدعاة للفت انتباه المتلقي اليه، وتركيزه فيه، اذ هو المهم في نظر المتكلم، وهو الذي يريد توكيده، والمبالغة فيه، وتعظيمه، لان الاهتمام به لا بالمفعول[2].

وقد ذكر الدكتور محمد أبو موسى عددا من إشارات الحذف اللطيفة، منها قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿رب ارني أنظر إليك﴾ [3]، قال المفسرون: المراد: ارني ذاتك، أي: ارني نفسك أنظر إليك، فثاني مفعول (ارني) محذوف[4]، للاختصار، ويمكن ان يقال فيه: ان سيدنا موسى لم يطلب من ربه ان يريه ذاته طلبا صريحا، فان في هذا شيئا لا يليق بالجلال، وانما قال في أمل ورجاء وأدب وحياء: ﴿رب ارني﴾، فامسك ليفيد قصده بدون لفظ ينص صراحة عليه، فهكذا القول في هذه المقامات الربانية، عند طلب مثل هذه الأمور الهائلة، ينبغي ان يكون تلويحا وخلسا. وشيء آخر في هذا الحذف، هو تلك الفخامة والهيبة، لان الذات الجليلة لا تقع عليها الرؤية المحيطة كما تقع على الأشياء، وانما هي تجليات، فلم يتمكن لفظ

---

[1] ينظر: دلائل الإعجاز ١٨٢، والكشاف ٤٠١/٣، ومعترك الأقران ١/ ٢٣٤، وخصائص التراكيب /٢٧٩، وعلم المعاني، الجندي /٨٠.

[2] ينظر: من أسرار البلاغة في القران/ ٥٩، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي (أطروحة دكتوراه) /١٦٠.

[3] الأعراف / ١٤٣.

[4] ينظر: الكشاف ٢/ ١٥٢.

الرؤية (ارني) من الذات هكذا ظاهرا، لان ذلك لا يكون، النفس الإنسانية لا تطيق من رؤية الله وتجلياته إلا ما تطيقه، أنظر الى قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، اذن سيدنا موسى عليه السلام لم تتح له الرؤية، ولم يقع أيضا التجلي عليه، وانما تجلى ربه للجبل فجعله دكا، وكان من موسى ما كان[2].

ومن أمثلته أيضا وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [3] حذف المفعول في قوله تعالى(قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ) لدلالة الكلام عليه، وهو: ان هذا لسحر مبين، فالتقدير: أتقولون هذا القول للحق لما جاءكم؟ كانه قيل: أتقولون ان هذا السحر؟[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [5] حذف مفعول (مصدق)، ليشمل جميع الكتب السماوية، وهذا ثناء عظيم على القران بانه احتوى على كل ما في الكتب السماوية، مغنيا عنها، ومبينا لما فيها[6].

حذف الجمل في آيات النبي موسى عليه السلام:

اما حذف الجمل من الكلام فقد كان على قسمين: (أحدهما): تحذف منه الجمل التي تستقل بنفسها كلاما. وهذا احسن المحذوفات وادلها على الاختصار، ولا تكاد

---

[1] الأعراف / ١٤٣.

[2] ينظر: خصائص التراكيب/ ٢٨٥، وعلم المعاني، عتيق /١٤٣.

[3] يونس / ٧٧.

[4] ينظر: الكشاف ٢/ ٣٦١، والتحرير والتنوير ١١/ ٢٥٠.

[5] الأحقاف/ ١٢.

[6] ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٥.

تجده إلا في كتاب الله تعالى، (والقسم الأخر): حذف الجمل غير المفيدة[١]. ومن أنواعه التي جاءت في آيات النبي موسى عليه السلام الاكتفاء بالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[٢] ، الخطاب موجه للرسول محمد ﷺ : وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه لموسى، ولا كنت شاهدا له وعليه، ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة، ودل على المسبب الذي هو الوحي، على عادة اختصارات القران، لان تقدير الكلام: ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى عهدك قرونا كثيرة، فتطاول على آخرهم- وهو القرن الذي انت منهم- العمر، أي أمد انقطاع الوحي، فاندرست العلوم، فوجب إرسالك اليهم، فأرسلناك، وعرفناك بقصص الأنبياء، ومنها قصة موسى، فحذفت اذن جملة مفيدة وهي جملة مطولة دل السبب فيها على المسبب[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٤]، (الفاء) في (فانفجرت) متعلقة بمحذوف أي: فضرب فانفجرت، او: فان ضربت فقد انفجرت، ليجعل الانفجار مسببا عن قوله تعالى (اضرب)، ليدل على ان من أمره الله تعالى بالضرب، وهو موسى عليه السلام نفذ أمر الله تعالى بالضرب، فلا يمكن ان يتبادر اليه شك في ذلك[٥]. فاكتفى بالمسبب الذي هو (الانفجار)، عن السبب الذي هو (الضرب)[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ۞فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ

---

[١] ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٨١.

[٢] القصص /٤٤-٤٥.

[٣] ينظر: الكشاف ٣/ ٤١٧، والمثل السائر ٢/ ٤٨٣- ٤٨٤.

[٤] البقرة /٦٠.

[٥] ينظر: الكشاف ١/ ١٤٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ١/ ١٥٦.

[٦] ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٨٧.

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [١]، ورد حذف للجملة المفيدة، وهو جواب الاستفهام، لان قولها: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) احتاج الى جواب لينتظم بما بعده من رده الى أمه، والجواب: فقالوا: نعم، فدلتهم على امرأة فجيء بها، وهي أمه، ولم يعلموا بمكانها، فأرضعته، وهذه الجملة الثانية(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ)تدل على المحذوف، لان رده الى أمه لم يكن إلا بعد رد الجواب على أخته ودلالتها إياهم على امرأة ترضعه وتقوم بتربيته لاجلهم[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٣] يذكر الله ﷻ في معرض قصة البقرة التي أمرهم بذبحها، وتكون بالأوصاف التي ذكرتها الآيات السابقة، انها بقرة متوسطة العمر، صفراء فاقع لونها...(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) «فقد حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومتين من نظم الكلام، والتقدير: فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها فلما اهتدوا اليها ذبحوها. وهذا من الإيجاز بالحذف»[٤].وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥] حذفت جملتان تقديرهما (فضربوه فجيء)، وانما حذفتا اختصارا، لان قوله تعالى: (كذلك يحي الله الموتى) يستلزمها ويستدعيها فهما معلومتان بالضرورة.

وفي قوله تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائِيلَ ۞قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [٦]، حذفت طائفة من الجمل، تقديرها: فاتياه، فابلغاه ذلك، فلما سمعه، قال ألم نربك وانما

---

[١] القصص / ١٢- ١٣.

[٢] ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٩٠.

[٣] البقرة / ٧١.

[٤] صفوة التفاسير ١/ ٥٤.

[٥] البقرة / ٧٣.

[٦] الشعراء/ ١٦- ١٨.

حذفت هذه الجمل اختصارا، لانها معلومة بالضرورة، ولان السياق يستلزمها ويستدعيها[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [٢]، حذفت جملة فألقاها فانقلبت الى حية، وذلك لدلالة السياق عليها[٣]. وفي قوله تعالى في وصف الحوار الذي دار بين فرعون لعنه الله وموسى وهارون عليهم السلام حيث قالا له: ان الله اخبرنا فيما أوحاه الينا ان العذاب الأليم على من كذب الأنبياء واعرض عن الإيمان ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [٤]، أي: قال ومن هذا الرب الذي تدعوني اليه يا موسى؟، ولم يقل: (من ربي؟) لغاية عتوه ونهاية طغيانه ودعارته، بل إضافة الى موسى وهارون، ففي الآية حذف جمل دل عليها السياق قصدا للايجاز، والتقدير: فأتياه فقالا له ما أمرا به فقال: فمن ربكما؟[٥].

وفي قوله تعالى في المواجهة التي جرت بين موسى عليه السلام والسحرة يوم الزينة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [٦] حذفت جملتان دل السياق عليهما، اذ التقدير: فدبت فيها الحياة وانقلبت ثعبانا فإذا هي تلقف ما يزورونه، دل على الجملة الأولى بالإلقاء، وعلى الجملة الثانية بالتلقف، لانه من شان العصا إذا دبت فيها الحياة صارت ثعبانا بلا تبديل شكل[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [٨]، إيجاز حذف، والأصل: فأرسل جبريل الى هارون، واجعله نبيا، وآزرني به، واشدد به عضدي. وهذا كلام مختصر فاحسن في الاختصار غاية الإحسان[١].

---

[١] ينظر: الكشاف ١/٢٨٩، و٣/ ١٠٨.

[٢] القصص / ٣١.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ١١/ ٣٥، والتحوير والتنوير ١٦/ ٢١٣.

[٤] طه / ٤٩.

[٥] ينظر: صفوة التفاسير ٨/ ٦١.

[٦] الأعراف/ ١١٧.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٤٩.

[٨] الشعراء / ١٣.

وفي قوله تعالى يصف ابنة شعيب عليه السلام ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢]، اختصار تقديره: فذهبتا الى أبيهما سريعتين وأغنامهما حفل بطان[٣] ومن عادتهما الإبطاء، فحدثتاه بما كان من امر الرجل، فأمر إحداهما ان تدعوه له، فجاءته تمشي... أي: جاءته حالة كونها تمشي مشية الحرائر بحياء وخجل وقد سترت وجهها بثوبها[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي۞ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى۞قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي۞ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [٥] جملة محذوفة، تقديرها: فلما رجع موسى، وراهم على تلك الحال من عبادة العجل، قال لاخيه هارون: ما منعك اذ رايتهم ضلوا إلا تتبعني؟ والجملة المحذوفة غير مفيدة[٦].

هذا النوع من الحذف الذي يدرسه علماء البلاغة تحت الإيجاز عدوه البلاغة الحقة، واذا عرفت الإيجاز وتأملت ما جاء في القران منه عرفت فضيلته على سائر الكلام وعلوه على غيره من أنواع البيان.

الفصل:

---

[١] ينظر: الكشاف ٣/ ٢٣٨.

[٢] القصص/ ٢٥.

[٣] (ضرع حافل) أي: ممتلئ لبنا، و(بطان) والبطنه:الأمتلاء الشديد من الطعام، مختار الصحاح ١/٢٣.

[٤] ينظر: الكشاف ٣/ ٤٠٢، وجامع البيان عن تأويل آي القران، الطبري ٢٠/ ٣٩.

[٥] طه/ ٩٠- ٩٤.

[٦] ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٩٣.

(الفصل) في اللغة فهو: (من فصل الشيء فانفصل) أي: قطعه فانقطع[١]. اما في الاصطلاح: فهو «العلم بما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، او ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى»[٢] ،

ويعد أول من كشف عن أسراره وأغناه بالأمثلة والنصوص ذات الصلة بالسليقة وحقيقة البيان العربي، هو الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز)[٣]. و(الفصل) كما قيل هو: ترك الربط بين الجملتين، اما لانهما متحدتان صورة ومعنى، او بمنزلة المتحدين- واما لانه لا صلة بينهما في الصورة او في المعنى[٤]. فهو يزيد الكلام حسنا ويؤدي الى حسن إفهام المعنى، وقد جاء في (كتاب الصناعتين): «ان البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل، كانت كاللآلي بلا نظام»[٥]، وقد جاء الفصل في (القران الكريم) مؤديا دوره في توصيل المعنى، مبينا إعجازه.

ففي قوله تعالى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [٦]، جاءت جملة (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ) بيانا لجملة (إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ) ، فكانت الأولى إجمالا والثانية بيانا، وفيها معنى التعليل لتحقيق كونهما مرسلين من الله، بما يظهره الله على يد أحدهما من دلائل الصدق، وكلا الغرضين يوجب فصل الجملة عن التي قبلها[٧]. فكان لأسلوب الفصل دوره في توضيح المعنى واستكمال الصورة في الأذهان فالآية والمعجزة ، التي جاءا بها من اللهﷻ فيها دليل على صدق الدعوة وما تحمله من

---

[١] ينظر: لسان العرب (فصل).

[٢] دلائل الإعجاز/ ١٧٤، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣/ ١١٨.

[٣] ينظر: دلائل الإعجاز/ ١٤٩- ١٦٧.

[٤] ينظر: جواهر البلاغة/ ١٩٨.

[٥] كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري/ ٤٣٨.

[٦] طه / ٤٧.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٩.

تأييد اللهﷻ لرسله، فجاء عرض هذه المعاني كلها بأسلوب الفصل، ليصور المعنى العام، ومدى عناد فرعون وقومه وتكبرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ۞إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [1]، يعرض لنا نفسية بني إسرائيل، وان إيمانهم لم يكن مستقرا ولا متغلغلا فيها، اذ بعد النعم التي من الله بها عليهم، بان خلصهم من نير العبودية فمنعهم ظلم العدو، ومن عليهم بالسير في البحر، ومع هاتين الآيتين العظيمتين فانهم لما رأوا عباد الأصنام قالوا: يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة، فما كان جواب موسىعليه السلام إلا ان وصفهم بالجهل الكامل بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وقد أكد كلامه، وجعل الجملة اسمية، لما تدل عليه الجملة الاسمية من كون الجهالة صفة ثابتة فيهم وراسخة في نفوسهم، ولولا ذلك لكان لهم في بادئ النظر زاجر عن مثل هذا السؤال. فلذلك فصلت عن جملة(إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ) أي: هالك ما هم فيه من عبادة وكل عمل يقومون به، فهذه الجملة بمعنى التعليل لمضمون جملة(إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)، فكان لأسلوب الفصل دور في توضيح المعنى وتوجيه التوبيخ الشديد على ما كان منهم من إنكار النعم[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [3]، «موقع جملة (قرة عين لي ولك) موقع التمهيد والمقدمة للعرض، وموقع جملة (لا تقتلوه) موقع التفريع عن المقدمة ولذلك فصلت، وجملة (عسى ان ينفعنا) موقع العلة لمضمون جملة (لا تقتلوه)، فاتصالها بها كاتصال جملة (قرة عين لي ولك) بها، ولكن نظم الكلام قضى بهذا الترتيب البليغ، بان جعل الوازع الطبيعي عن القتل هو وازع المحبة، وهو المقدمة، لانه اشد تعلقا بالنفس، فهو يشبه المعلوم البديهي»[4]. فجاء الفصل بين هذه الجمل ليصور لنا قدرة

---

[1] الأعراف / ١٣٨- ١٣٩.

[2] ينظر :التحرير والتنوير ٨٢/٩.

[3] القصص/ ٩.

[4] التحرير والتنوير ٢٠/ ٧٧- ٧٩.

الله ﷻ وحمايته لهذا الطفل، وهو بيد عدوه الذي يطلبه للذبح، ولكن القدر يحرك في قلب امرأة فرعون غريزة الأمومة، فيلقي المحبة في قلبها، فتكون السبب في عدم قتل هذا الطفل، فجاء الفصل ليوضح قدرة الله على الحفاظ على عباده، حتى وان كان عبده طفلا لا يستطيع تدبير اموره، فالله ﷻ لا يغفل عن حال عباده، وهو على كل شيء قدير، فهذه الحالة تحدث هزة داخل المتلقي، تجعله يتأمل هذه القدرة ويصل الى حقيقة الله المدبر لأمور عباده.

من خلال هذه الآيات نجد أهمية الفصل في تقرير المعنى وتاكيده، وفي جذب الانتباه وإيصال الأفكار.

الالتفات:

(الالتفات) لغة: مصدر (التفت الى الشيء) أي: صرف وجهه اليه، و(لفت وجهه عن القوم): صرفه، و(التفت التفاتا): اكثر منه[١]. وقال الزركشي في معناه اصطلاحا: «نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب اخر، تطرية، واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»[٢]، فهو مأخوذ من (التفات الإنسان عن يمينه وشماله)، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة[٣]، «لانه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب، او من خطاب غائب الى حاضر، او من فعل ماض الى مستقبل، او من مستقبل الى ماض»[٤]. وقد شاع في الاستخدام القرآني لما يتميز به من خصائص حتى عد من «اجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها»[٥]، وبه ينتقل المتكلم أنتقالا مفاجئا من تغيير رتيب درج عليه نظم الكلام وانس اليه المتلقي، الى تعبير جديد على غير ما يتوقعه[٦]، ومتى ما نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب، كان احسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء اليه، من إجرائه على أسلوب واحد[٧]. وهذه الفائدة العامة لا تنحصر فقط في تنشيط السامع وإيقاظه، فربما يتبادر الى الذهن احتمال ان يمل السامع الأسلوب لضعف مبناه او معناه، وهذا لا يجوز وجوده في القران الكريم الكتاب المعجز، ولكن القران الكريم يوظف الالتفات لخدمة المعنى، وبذلك تحقيق للفائدة المتوخاة منه، ولعل أوضح من ذكر هذه الفوائدهو(الزركشي) في (البرهان في علوم القران)، اذ ذكر منها: التعظيم والتنبيه والمبالغة والاختصاص

---

[١] ينظر: لسان العرب (لفت).

[٢] البرهان في علوم القرآن ٣/٣١٤.

[٣] ينظر: المثل السائر ٢/ ١٧١.

[٤] المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[٥] الطراز، العلوي ٢/ ١٣٢.

[٦] ينظر: الالتفات في القران الكريم، الشاذلي الهشيري، حوليات الجامعة التونسية،ع ١٩٩١،٣٢/١٦٦.

[٧] ينظر: اثر البلاغة في تفسير الكشاف،د.عمر الملا حويش/ ٧٣.

والاهتمام والتوبيخ[١]، فالالتفات يتميز بطاقة إيحائية من حيث كونه يعتمدعلى العدول[٢].

ومن أمثلة الالتفات في آيات النبي موسىعليه السلام قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣] وقوله (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) ظاهر في انه من كلام الله تعالى عند تذكيرهم بالنعمة، وهو محل التذكير، من قوله(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ)، فالماضي مستعمل في بابه من الأخبار، وهذا ابلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لان الفعل الماضي يعطي من المعنى انه (قد كان ووجد)، وقد جاء على طريقة الالتفات، لان المقام للتكلم، فعدل عنه الى الغيبة في (فتاب) حيث لم يقل: (فتبنا)[٤] للعناية بتوكيد التوبة في نفوسهم، فالانتقال في الكلام هنا حقق عمقا في المعنى، فبعد ان ذكرهم بالذنب العظيم الذي اقترفوه، والذي يستحق عقوبة تناسبه، ينتقل بهم الى الأخبار بالغيبة، وقوله (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) خبر وثناء على الله، وتأكيده بحرف التوكيد لتنزيلهم منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم، لان حالهم من عظم جرمهم حال من يشك في قبول التوبة عليه، وانما جمع التواب مع الرحيم، لان توبته تعالى عليهم كانت بالعفو عن زلة الأشراك به، وهي من الكبائر لا يغفرها إلا الغفار[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [٦]، بين الله عزوجل اعتذار كبراء قوم موسى وأهل الصلاح منهم، ويشير الى قضية صوغ العجل الذي عبدوه واغتروا بما موه لهم من انه إلههم المنشود، من كثرة ما سمعوا من رسولهم ان الله معهم او أمامهم، فالالتفات

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٢٦.

[٢] ينظر: البلاغة والأسلوبية /٢٠٤.

[٣] البقرة / ٥٤.

[٤] ينظر: روح المعاني،الآلوسي ١/ ٢٦١، والتحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٠٥.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٠٥.

[٦] طه / ٨٧-٨٨.

جاء في قوله (فاخرج لهم) إذ عدل من التكلم الى الغائب، اذ قصد القائلون به التبرئ من ان يكون إخراج العجل لاجلهم، أي: أخرجه لمن رغبوا في ذلك[١]. اذ ان عددا من كبراء القوم وصلحائهم ومعهم هارون لم يعتقدوا بإلهية العجل، ولم يستطيعوا منع من عبده، لذلك فضمير الغيبة في قوله ﴿اخرج لهم﴾ وقوله ﴿فقالوا﴾ عائدان الى غير المتكلمين[٢].

وجاء الأخبار بالماضي (فاخرج لهم) ليمثل للسامع الصورة التي فيها استطاع ان يتجرا السامري على إخراج العجل وأخبارهم، بانه الههم، والجراءة على إخلافهم العهد[٣]. فجاء الالتفات ليوضح معنى الاعتذار، ويحقق غرضه وهو البراءة من عمل القوم، فكان له دور في جذب انتباه السامع، وهو موسى- عليه السلام- وتنشطيه، حتى يستوثق من انهم قد تصدوا لعبدة العجل، وقدموا النصح، إيفاء بالعهد، ولكنهم لم يستجيبوا لهم.

وقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٤]، تضمن الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله تعالى﴿ساوريكم دار الفاسقين﴾، وحمل معنى المبالغة في الحض على نهج سبيل الصالحين، والأصل ان يقال: (ساريهم)[٥]. وجاء الأخبار على طريقة الغيبة لمناسبتها لأسلوب الحكاية والسرد، ثم أنزلهم منزلة الحاضرين، فتحول الى مخاطبتهم خطابا مباشرا، أي: سترون منازل الفاسقين- فرعون وقومه- كيف إقفرت منهم، ودمروا لفسقهم، لتعتبروا، فلا تكونوا مثلهم، فان رؤيتها وهي خالية من أهلها موجبة للاعتبار والانزجار[٦] فالآية حققت كل تلك المعاني بفضل أسلوب الالتفات.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٨٦.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٨٥.

[٣] ينظر: المصدر نفسه ١٦/ ٢٨٤.

[٤] الأعراف / ١٤٥.

[٥] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٤٣.

[٦] ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٤١.

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١)، الله ﷻ يصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة، فكان الله ﷻ قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث به نوحا في العهد القديم وبعث به محمدا ﷺ في العهد الحديث، وبعث به من توسط بينهما، فالأمر يتطلب جذب انتباه السامعين وإصغائهم التام، فجاء أسلوب الالتفات ليحقق الهدف، وذلك في العدول من الغيبة الى التكلم في قوله (والذي أوحينا اليك)، بعد قوله (شرع لكم)، وذكر في جانب الشرائع الأربع السابقة فعل (وصى)، وفي جانب شريعة الإسلام فعل الإيحاء، لان الشرائع التي سبقت شريعة الإسلام كانت شرائع موقتة، مقدرا ورود شريعة بعدها، فكان العمل بها كالعمل الذي يقوم به مؤتمن على شيء حتى يأتي صاحبه(٢)، وعندما تحدث سبحانه عن الخبر أراد منه التعظيم، فجاء الالتفات ليزيد من معنى التعظيم، محققا في الوقت نفسه جذب انتباه السامع، وتنشيطه، وحمله على الإيمان الصادق بان شرعنا قد جمع الشرائع المتقدمة كلها.

ويقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع الى الخطاب الأخر(٣)، فمن الاثنين الى الواحد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (٤)، حيث وجه فرعون لعنه الله الخطاب اليهما(موسى وهارون) بالضمير المشترك ثم خص موسى عليه السلام بالإقبال عليه بالنداء، لعلمه بان موسى هو الأصل والمتحمل أعباء الرسالة، او لان خبثه ودعارته حملاه على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه هارون، لما عرف من فصاحة اللسان، وبما عرف من الرته في كلام موسى، ويدل عليه قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾(٥)

---

(١) الشورى / ١٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٥٢.

(٣) ينظر: معترك الأقران ١/ ٢٩١.

(٤) طه/ ٤٩.

(٥) الزخرف/٥٢.

فنكل عن خطاب هارون توقيا بفصاحته وحده جوابه، ووقع خطابه، اذ الفصاحة تنكل الخصم عن الخصم.[١]

ومن نقل الكلام من خطاب الاثنين الى الجمع قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢].يبين الله ﷻ أمر الوحي لموسى وأخيه هارون (عليهما السلام) بالتبؤ والاختيار، اذ ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة، لان ذلك واجب على الجمهور، واسند الفعل مرتين الى واو الجماعة، إشارة الى ان هذا التكليف لا يخصهما فحسب، بل يخصهما وقومهما جميعا، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة في آخر الآية تعظيما له وتفخيما لأمره، ليوضح دور النبي باعتباره سيد قومه واجب الإطاعة، لذلك نجد ان هذا التنوع في الخطاب والتوسع به كان سببا في دفع الملل والسامة وجذب الانتباه وتوضيح المعنى[٣]. فالتقى مع الالتفات في علة بلاغية واحدة[٤] ومن وضع الجمع موضع المثنى قوله تعالى ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [٥] أي: فانا معكما بالعون والنصرة اسمع ما تقولان وما يجيبكما به، وصيغة الجمع (معكم) أريد به التثنية، فكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع تشريفا لهما وتعظيما[٦].

نلحظ من خلال الآيات التي ورد فيها الالتفات ان الخصيصة الرئيسة للالتفات في جذب انتباه السامعين كانت نقطة مهمة في التعبير القرآني دون ان يكون مقحما في النص، بل كان السياق دائما هو الذي يطلبه والمعنى يستدعيه ليشكل ركيزة مهمة يبنى عليها المعنى في الآيات التي ورد فيها، وهنا تكمن قمة الإعجاز القرآني.

---

[١] ينظر: الكشاف ٢/ ٥٣٩.

[٢] يونس / ٨٧.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٢٦٥– ٢٦٦، والفوائد المشوق الى علوم القران وعلم البيان ٨٩ ومن بلاغة القران ١١٠، والبلاغة الاصطلاحية، د.عبده عبد العزيز قليقله /٣٤٤.

[٤] ينظر: من علوم القرآن وتحليل نصوصه، عبد القادر حسين/ ١٧٥.

[٥] الشعراء / ١٥.

[٦] ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٧/ ٨، وينظر: من علوم القران وتحليل نصوصه ١٧٥.

المبحث الثالث

الإنشاء

الإنشاء لغة:من (أنشأ الله الخلق) أي: ابتدأ خلقهم، و(الإنشاء) هو: الابتداء والخلق والإبداع، (أنشأ السحاب): إذا بدا بالمطر، و(نشا الدار) إذا بدا بناءها، و(فلان ينشئ الأحاديث) أي: يضعها[١]. والإنشاء اصطلاحا: كل كلام ليس لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه[٢]، يقول القزويني: ((ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه، او لا يكون لها خارج، (الأول): الخبر، و(الثاني): الإنشاء))[٣]، ((واعتمدوا على هذا المعنى حينما فصلوا بين الخبر والإنشاء))[٤]، فالإنشاء قسيم الخبر، إذا كان (الخبر) هو: الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، فان (الإنشاء) هو: الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لانه ليس لمدلول لفظه، قبل النطق به، وجود خارجي يطابقه او لا يطابقه[٥].

((والإنشاء) قسمان:

(أحدهما): الإنشاء الطلبي، وهو: ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وله خمسة أنواع: الامر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

((والأخر): الإنشاء غير الطلبي، وهو: ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ متعددة: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود[٦].

ومن الجدير بالذكر ان(الإنشاء غير الطلبي) لم يحظ باهتمام الدراسات البلاغية قديما وحديثا، لقلة الأغراض المتعلقة به، فضلا عن انها أخبار نقلت عن معانيها

---

[١] ينظر: لسان العرب (نشا).

[٢] ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني /٣٢.

[٣] التلخيص، الخطيب القزويني /١٥١.

[٤] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٣٣٢.

[٥] ينظر: علم المعاني، عتيق /٧٤.

[٦] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٣٣٢.

الأصلية، على العكس من الإنشاء الطلبي الذي تكون فيه فنون القول غير منقولة [١].

ومن الأساليب الإنشائية الطلبية التي وردت في الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام:

أولا: الأمر:

وهو نقيض (النهي)، يقال: (أمره، يأمره، أمرا، وإمارا، فأتمره) أي: قبل أمره[٢].
اما في الاصطلاح: فالأمر «صيغة تستدعي الفعل، او قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، وصيغته: (افعل) و(ليفعل) »[٣]، و(الأمر) عند البلاغيين: «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام»[٤]، وقد لاحظ البلاغيون ان الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي، وهو الإيجاب والالزام، الى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن المعاني المجازية التي خرج اليها الأمر في الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام:

١- التأديب والتوبيخ والتهديد: ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٥]، أفاد الأمر (اهبطوا) معنى التهديد والتوبيخ،وهذا يفهم من سياق الآية ومقتضى الحال، فهو تهديد على تذكرهم أيام ذلهم وعنائهم، وتمنيهم الرجوع الى تلك

---

[١] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/٣٣٢.
[٢] ينظر: لسان العرب (أمر).
[٣] الطراز ٣/ ٢٨١، وينظر: معترك الأقران ١/ ٣٣٥.
[٤] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٣١٣.
[٥] البقرة / ٦١.

المعيشة، كأنه يقول لهم: ارجعوا الى ما كنتم فيه، اذ لم تدركوا قدر الفضائل النفسية ونعمة الحرية والاستقلال، أمرهم بالسعي لانفسهم، وكفى بذلك تأديبا وتوبيخا[١].

٢- المشورة: ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [٢] جاء الأمر في (أرجه) و(أرسل) لإفادة المشورة والاقتراح لتدبير أمر يبطلون به معجزة موسى عليه السلام ،أي: أخر أمرهما حتى ترى رأيك فيهما، وأرسل في أنحاء البلاد من يجمع لك السحرة[٣]. وقد تكرر هذا المعنى في موضع اخر، هو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [٤].

٣- الاعتبار: ففي قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٥] جاء الفعل (أنظر) بلفظ الأمر والمراد منه العبرة والعظة، وليس الوجوب، والمنظور هو عاقبتهم، التي ذكرها لنا القران الكريم، وهذا النظر هو نظر العقل، وهو الفكر المؤدي الى العلم، فهو من إبصار القلوب، لان عقابهم قد حل بهم، واندرست اثارهم، واصبحوا خبرا يخبرنا به القران الكريم، القصد منه العبرة والاتعاظ، فانظر ايها السامع ما ال اليه أمر المفسدين الظالمين، جعلهم مثالا توعد به كفرة عصر الرسول ﷺ ، ولإثارة التطلعات الى تلك الخاتمة المثيرة التي ستختم بها هذه القصة[٦].

٤- الالتماس والرجاء: ففي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧]

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٢١.

[٢] الأعراف / ١١١.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٣٤.

[٤] الشعراء /٣٦.

[٥] الأعراف / ١٠٣.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٣٦.

[٧] البقرة / ٦١.

وقوله: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [١] استعمل فعل الأمر في الالتماس والرجاء لا الوجوب لعدم وقوعه بين متساويين، ولتمييزه عن الدعاء الذي يخاطب به الرب جل جلاله[٢].

٥- الدعاء: وهو الطلب على سبيل التضرع، اذ كل فعل أمر ينطق به العبد مخاطبا به الرب الكريم يكون دعاء وتضرعا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [٣] جاء الأمر على لسان موسى، لإفادة الدعاء على فرعون وقومه بالانتقام منهم، بعد ان عرض عليهم الآيات البينات، وحذرهم عذاب الله وانتقامه، ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا، وان إيمانهم كالمحال لذلك طلب لهم العقاب[٤] وبلاغة التعبير بالأمر في مقام (الدعاء) بيان شدة رغبة العبد في الطلب[٥].

٦- الإعلام: ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ [٦] أفاد الأمر معنى مجازيا هو الإعلام بانه (ربه)، إشارة الى ان ذلك المكان قد حله التقديس بإيجاد كلام من عند الله فيه[٧]، وأمره الله بـ (خلع نعليه) أي: بنزعهما من قدميه، ليعلمه التواضع لربه حين ناداه، فان نداء الله لعبده أمر عظيم يستوجب من العبد كمال التواضع والخضوع[٨].

---

[١] البقرة/ ٦٨، وفي آيات أخرى البقرة/ ٦٩، الأعراف /٣٤، الزخرف / ٤٩.

[٢] ينظر :أساليب المجاز في القران الكريم، أحمد حمد محسن الجبوري (أطروحة دكتوراه)/٥٣٢.

[٣] يونس / ٨٨.

[٤] ينظر: الكشاف ٢/ ٣٦٥.

[٥] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ٨٢.

[٦] طه / ١٢.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١٦٩.

[٨] ينظر: أضواء البيان ٤/ ٢٩٢، والتفسير القرآني للقران ٣/ ٧٨٤.

٧- التعجيز: ومنه قوله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١] قال: ﴿فات بها ان كنت من الصادقين﴾ تعجيزا لموسى عليه السلام[٢].

٨- التسلية: ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣]، جاء الأمر مستعملا في معنى التسلية، واتضح ذلك بفضل السياق الذي ورد فيه، اذ قاله موسى لقومه تسلية لهم حين تضجروا مما سمعوا من فرعون، فقال لهم: استعينوا بالله على فرعون وقومه[٤]، أمر بالاستعانة بالله والصبر، أي: افعلوا ذلك لان حكم الظلم لا يدوم.

٩- الاستهزاء: ففي قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [٥]، أفاد الأمر (وليدع ربه) معنى الاستهزاء، يصحبه التبجح والاستهتار[٦].

١٠- الإعلان: قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى﴾ [٧]، أفاد الأمر بالقول في الآية الكريمة معنى مجازيا، هو الإعلان به، والدعوة اليه، لما يشتمل عليه من الفضيلة الظاهرة بحصول فضيلة سائر الأديان لاهل هاته الملة الوارثة لتراث العقيدة، القائمة على دين الله وشرعه في الأرض، الذي ارتضاه الله للنبي محمد ﷺ وللمؤمنين جميعا، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور[٨]

---

[١] الأعراف / ١٠٦.

[٢] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٣٤.

[٣] الأعراف/ ١٢٨.

[٤] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٣٦.

[٥] غافر/ ٢٦.

[٦] ينظر: الكشاف ٤/ ١٦١.

[٧] البقرة / ١٣٦.

[٨] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٧٣٨.

١١- التهديد والاحتقار: ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [١]، خرج الأمر عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي، هو التهديد والاحتقار، اتضح ذلك من السياق ومقتضى الحال، أي: ابتدئوا بالإلقاء فسترون ما يحل بكم من الافتضاح[٢]. ويرى الدكتور عبد العزيز ان صيغة الأمر في قوله تعالى (القوا) جاءت في مقام التحقير، وهو قريب من الإهانة، او هما بمعنى واحد[٣].

١٢- التعظيم: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٤] إذ افاد الأمر في الآية الكريمة معنى مجازيا هو التعظيم، التعظيم للعصا، أي: لا تحفل بهذه الإجرام الكثيرة الكبيرة، فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها[٥].

١٣- الإكرام: ففي قوله تعالى ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [٦] خرج الأمر الى معنى مجازي يفهم من السياق، وهو الإكرام وإعلاء منزلة موسى عليه السلام ومنة الله تعالى عليه، انه إكرام، لا يعدله إكرام،ان ينال إنسان لحظة عناية من الله، فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله؟ انه بسبب من هذا أطاق موسى ان يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه[٧]. فالآية الكريمة صورت من خلال أسلوب الأمر (بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر) مكانة النبي موسى عند الله وما أكرمه به.

---

[١] الشعراء /٤٣.

[٢] ينظر: التفسير الكبير ٢٤/ ١٣٤، والجامع لاحكام القران ٧/ ٢٥٩.

[٣] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ٨٦.

[٤] طه/ ٦٩.

[٥] ينظر: الجامع لاحكام القران ١١/ ٢٢٣.

[٦] طه / ٣٩.

[٧] ينظر: في ظلال القران ٤/ ٢٣٣٥، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٨.

١٤- الاعتبار والاستبصار: ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١]، أفاد الأمر بالنظر في عاقبة المفسدين معنى الاعتبار والاستبصار. والخطاب للنبي محمدﷺ والمراد: هو ومن يبلغه. او المخاطب غير معين، وهو كل من يتأتى منه النظر والاعتبار عند سماع الآيات، فالتقدير: فانظر ايها الناظر، وهذا استعمال شائع في كل كلام موجه لغير معين[٢].

ومن خلال الآيات الكريمات نرى ان أهم ما ينماز به الأسلوب الإنشائي انه لا يعطينا الحقيقة مجردة جافة، فاذا تأملناه من خلال أسلوب الأمر وجدناه يعطينا صورا بديعة غنية بالمعاني تعمل على تأكيد المعنى في ذهن السامع.

ثانياً ـ النهي:

(النهي) لغة: طلب الكف عن الفعل، وهو خلاف الأمر: (نهاه، نهيا، فانتهى، وتناهى): كف[٣].

واصطلاحا: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. وللنهي صيغة واحدة مخصوصة، هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة، ويراد بها المنع[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [٥]، فسبحانه ينهى، في هذه الآية النبي موسىعليه السلام عن الصد والانصراف عن التأهب للساعة والتصديق بها، وان لا يتبع من لا يوقن بها ومال مع الهوى واقبل على الشهوات ولم يحسب حسابا لأخرته فهلك، لان الغفلة عن الآخرة مستلزمة للهلاك[٦]، فجاء النهي في صيغة نهي من لا يؤمن بالساعة عن ان يصد موسى عن الإيمان

---

[١] الأعراف / ١٠٣.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٣٤- ٣٦.

[٣] ينظر: لسان العرب (نهى).

[٤] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣/ ٣٤٤.

[٥] طه / ١٦.

[٦] ينظر: صفوة التفاسير ٨/ ٥٦.

بها، مبالغة في نهي موسى عن أدنى شيء يحول بينه وبين الإيمان بالساعة، لانه لما وجه الكلام اليه، وكان النهي نهي غير المؤمن عن ان يصد موسى، علم ان المراد نهي موسى عن ملابسة صد الكافر عن الإيمان بالساعة، أي: لا تكن لين الشكيمة لمن يصدك، ولا تصغ اليه، فيكون لينك له مجرئا إياه على ان يصدك، فوقع النهي عن المسبب[١].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [٢]النهي هنا لموسى وهارون- عليهما السلام- عن الفتور والتقصير في ذكر الله على وجه الحقيقة والمجاز معا[٣]، أي: لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما، واتخذا ذكري جناحا تطيران به، مستمدين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين ان أمرا من الأمور لا يتمشى لاحد إلا بذكري. ويجوز ان يريد بـ (الذكر): تبليغ الرسالة، فـ (الذكر)يشمل سائر العبادات، و(تبليغ الرسالة) من اجلها وأعظمها، فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم (الذكر)[٤].

وفي قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٥] ينهى- سبحانه- ام موسى عن الخوف والحزن من إلقاء موسى في اليم، «والفرق بين (الخوف) و(الحزن): (الخوف): غم يلحق الإنسان لمتوقع، و(الحزن): غم يلحقه لواقع، هو فراقه والأخطار (المحيطة به) »[٦]، والمعنى: لا تخافي عليه الهلاك من الإلقاء في اليم، ولا تحزني على فراقه، والنهي عن الخوف وعن الحزن نهي عن سببهما، وهما توقع المكروه والتفكر في وحشة الفراق[٧].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٠٣.

[٢] طه / ٤٢.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٣.

[٤] ينظر:الكشاف ٣/ ٦٥.

[٥] القصص / ٧.

[٦] الكشاف ٣/ ٣٩٣.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ٧٥.

وقد اشترط البلاغيون الاستعلاء في صيغة (لا تفعل) لاجل تسميتها (نهيا)، وان لم تستعمل على سبيل الاستعلاء سموها (دعاء) او (التماسا)، يقول السكاكي « (والنهي) محذو به حذو (الأمر) في ان اصل استعمال (لا تفعل) ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور.. ثم ان استعمل على سبيل (التضرع)، كقول المبتهل الى الله: (لا تكلني الى نفسي)، سمي (دعاء)، وان استعمل في حق المساوي الرتبة، لا على سبيل الاستعلاء، سمي (التماسا) »[1].

لذلك ورد النهي بصيغة النهي مجازا في معان أخرى لا يراد بها المنع، وانما يراد بها معان مجازية تعرف من سياق الكلام ومقتضى الحال وقرائنه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [2]، الآية الكريمة تحمل معنى النهي، والمقصود منه النصح، اذ ان موسى عليه السلام يعلم ان هارون نبي مرسل من ربه معه، ولكن المسلم للمسلم ناصح، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم، وهو يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل، لذلك ألقى موسى الى أخيه، قبل مغادرته لقومه واعتزاله واعتكافه، بوصيته: أصلح ما يجب ان يصلح من أمور بني إسرائيل، ومن دعاك منهم الى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه[3]. فالنهي خرج عن معناه الحقيقي الى معنى أخر، ومن خلال السياق نفهم المعنى الذي خرج اليه النهي.

والنهي في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [4]، ليس على حقيقته، وانما هو للالتماس، لانه نهي من المساوي، ليس فيه استعلاء ولا إلزام، والمعنى: نسبة الى ألام مع كونه أخاه لأبيه وأمه، استعطافا له، وترقيقا لقلبه، والتمس منه عدم إنزال العقوبة به، لانه خشي ان خرج عليهم، ان يتفرقوا وسر بلاغة التعبير بصيغة

---

[1] مفتاح العلوم/٥٤٥.

[2] الأعراف / ١٤٢.

[3] ينظر: الكشاف ٢/ ١٥١، وفي ظلال القران ٣/ ١٣٨٦، والتحرير والتنوير ٩/ ٨٨.

[4] طه / ٩٤.

النهي مقام (الالتماس)، في الآية الكريمة، إظهار الحرص على ترقيق الأخ على أخيه، والأصل القوي في العفو والتسامح فقد كان لهارون عذر أمام أخيه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢] ورد النهي في موضعين، وخرج عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي هو الالتماس، لانه من المساوي بلا استعلاء: (لا تشمت) و(لا تجعلني)، حيث طلب هارون من أخيه موسى عليه السلام الكف عن عقابه، أي: لا تسئ الي حتى لا يسر الأعداء بي ويتشمتوا بإهانتك لي، ولا تجعلني في عداد الظالمين بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير[٣]، (فطلب ذلك كناية عن طلب الإعراض عن العقاب)[٤].

هكذا نرى ان لأسلوب النهي خصوصية في التعبير القرآني، وله القدرة على حمل المعاني وإيصالها.

ثالثاً . الاستفهام:

معنى (الاستفهام) لغة: طلب الفهم، جاء في (لسان العرب): (الفهم): معرفتك الشيء بالقلب. و(فهمت الشيء): عقلته وعرفته، و(افهمه الأمر) وفهمه إياه: جعله يفهمه. و(استفهمه): سأله ان يفهمه، و(قد استفهمني الشيء)، فأفهمته، وفهمته، تفهيما[٥].

و(الاستفهام) اصطلاحا: «طلب حصول الشيء في الذهن»[٦] وهو «استعلام ما في ضمير المخاطب. وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن»[١]، وهو

---

[١] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ٩٠.

[٢] الأعراف / ٦٥٠.

[٣] ينظر: التفسير الكبير ١٥/ ١١ والتحرير والتنوير ٩/ ١١٧.

[٤] التحرير والتنوير ٩/ ١١٧.

[٥] ينظر: لسان العرب (فهم).

[٦] المطول، خطيب الدمشقي /٢٢٦.

«طلب الفهم لشيء لم يكن مفهوما عند المستفهم»[٢]، ولما كان الاستفهام طلب ما في الخارج او تحصيله في الذهن، لزم إلا يكون حقيقيا إلا إذا صدر عن شاك مصدق بإمكان الإعلام، فان غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، واذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام[٣]. وقد ذكر الزركشي: «ان بعض الأئمة يذهب الى ان ما جاء على لفظ الاستفهام في القران فانما يقع في خطاب الله تعالى على معنى ان المخاطب عنده علم ذلك الإثبات او النفي حاصل، فيستفهم عنه، اذ قد وضعه الله عندها، فالنفي كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [٤] والإثبات كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ [٥]، ومعنى ذلك انه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فان الرب- تعالى- لا يستفهم خلقه عن شيء، وانما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم انهم قد علموا حق ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القران، وهو من كلام البشر مختلف»[٦].

ويعد الاستفهام من أوفر أساليب الكلام معاني، وأوسعها تصرفا، وأكثرها في مواقف الانفعال ورودا، ولذا نرى أساليبه تتوالى في مواطن التأثر وحيث يراد التأثير، للاستمالة والاقناع، واذا صح القول: ان للكلام قمة عليا في البلاغة، كان أسلوب الاستفهام محتلا أعلى مكان في تلك القمة[٧].

وأدواته كثيرة، وهي نوعان:

١- حرفان (الهمزة) و(هل).

---

[١] التعريفات ١/ ٣٧.

[٢] الصاحبي في فقه اللغة، أبن فارس /١٥١.

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢٦- ٣٢٧.

[٤] النساء / ٨٧.

[٥] الدهر/ ١.

[٦] البرهان فب علوم القرآن ٢/ ٣٢٧.

[٧] ينظر: فن البلاغة،غبد القادر حسين /١٣٧.

٢- الأسماء (ما) و(من) و(أي) و(كم) و(كيف) و(أين) و(أنى) و(متى) و(أيان)[١].

ويخرج الاستفهام عن حقيقته في القران الكريم الى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال وجو النص، واذا استعملت ألفاظ الاستفهام في غير معانيها الأصلية، فانها تعطي الكلام حيوية، وتزيد الإقناع والتأثير به، لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب لانتباهه، وإشراكه في التفكير، ليصل بنفسه الى الجواب من غير ان يملى عليه[٢].

وخروج الاستفهام عن حقيقته يكون بان يقع او يصدر عمن يعلم، ويستغني عن طلب الإفهام. ومن المعاني المجازية التي خرج اليها الاستفهام في الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام :

١- التقرير: وهو حملك المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا او نفيا، لغرض من الأغراض والاعتراف بمضمون الكلام[٣]، وقد جاء الاستفهام للتقرير في عدد من الآيات، تصحبه معان أخرى، فقد ورد الاستفهام للتقرير يصحبه التعجب في قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [٤]، ففي هذه الآية لا يريد سبحانه الاستفهام، وانما جاء لمعنى التقرير والتعجب من حالهم، ولذلك جعل الاستفهام عن نفي الرؤية، لان نفي الرؤية هو غير واقع من حالهم في نفس الأمر، ولكن حالهم يشبه حال من لا يرون عدم تكليمه، فوقع الاستفهام عنه لعلهم لم يروا ذلك مبالغة وهو للتعجب وليس للإنكار[٥]. ويرى الدكتور عبد العليم السيد فودة ان الاستفهام في الآية اما للتقرير بمعنى إثبات الرؤية للمتحدث عنه مع التوبيخ كما يفهم من السياق، واما للإنكار الواقع في النفي بمعنى انهم لم يروا، فهم ملومون على ترك الرؤية موبخون عليه مأمورون بان يروا[٦]. ومن المفسرين من يرى ان الاستفهام خرج في

---

[١] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٨٢.

[٢] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ١٠٣.

[٣] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٩٠.

[٤] الأعراف / ١٤٨.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ١١٠.

[٦] ينظر: أساليب الاستفهام في القران الكريم، د.عبد العليم السيد فوده /٦٥.

الآية الى التقريع والتوبيخ، أي: كيف عبدوا العجل واتخذوه الها مع انه ليس فيه شيء من صفات الخالق الرازق، فانه لا يملك قدرة الكلام ولا قدرة هدايتهم الى سبل السعادة فكيف يتخذ إلها؟[١].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [٢]، فالله ﷻ لا يستفهم، بل يقرر حقيقة ثابتة، أي: فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ الم يكن أليما؟[٣].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [٤] ففرعون يعلم يقينا ان موسى عليه السلام قد عاش في مصر وليدا، اذن فليس الغرض من هذا الاستفهام معناه الحقيقي، لان الاستفهام، كما علمنا، يقتضي الجهل بالمستفهم عنه، وفرعون كان لا يجهله، وانما المراد حمل موسى على الإقرار بذلك، او تذكيره به على الأقل، فهو استفهام على جهة المن عليه، أي: ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا، فتذكر الاء فرعون عليك في صغرك وتربيته لك، أملا في ان يراجع سيدنا موسى عليه السلام نفسه، ويقلع عن العمل على تقويض عبادة المصريين له، وانى يرجع وهو مأمور من الله الواحد الاحد؟! ومجيء الكلام على صورة الاستفهام تعبير حي عن نفسية فرعون ومحاولته الدفاع عن عرشه بكل وسيلة، سواء أكانت حربا نفسية ام حربا مسلحة؟ وفي هذا أيضا محاولة لجذب مشاعر المصريين وإثارة انتباههم[٥].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [٦] جاء الاستفهام في

الآية الكريمة مستعملا في التنبيه الى أهمية المسؤول عنه[٧].

---

[١] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٤٢.

[٢] الحج / ٤٤.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ٩/ ٤٢.

[٤] الشعراء /١٨.

[٥] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ١١٤.

[٦] طه /١٧.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٠٧.

ويرى الدكتورعبد العليم السيد فوده ان الاستفهام في هذه الآية للايناس، وهو تقرير بمعنى طلب الاعتراف ليسجل حقيقة العصا[١].وقيل انما سأله ليؤنسه في الكلام[٢].

ويرى الصابوني ان الاستفهام في الآية للتقرير والإيقاظ والتنبيه الى ما سيبدو من عجائب صنع الله في الخشبة اليابسة بانقلابها الى حية لتظهر لموسى القدرة الباهرة والمعجزة الباهرة[٣].

٢- التشويق: ففي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسى﴾ [٤]، الاستفهام مستعمل في التشويق الى الخبر مجازا، وليس مستعملا في حقيقته سواء أكانت هذه القصة قد قصت على النبيﷺ من قبل ام لا، وأوثر حرف الاستفهام (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق، لان (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الأخبار[٥]،«وهو استفهام للتمهيد وإعداد النفس والإذن لتلقي القصة وتمليها، وإيحاء بواقعيتها فهي حديث جرى»[٦]، لذلك أفاد الاستفهام التشوق الى معرفة الحديث الذي دار بين موسى وربه، وفي هذا الأسلوب كمال العناية به وشدة الإصغاء اليه[٧].

٣- العرض: ومعناه طلب الشيء بلين ورفق، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [٨]، الاستفهام في الآية الكريمة ليس مستعملا في معناه الحقيقي، وانما مستعمل في العرض تلطفا مع ال فرعون وأبعادا للظنة عن نفسها[٩].

---

[١] ينظر: أ ساليب الاستفهام في القران الكريم/ ٢٥٨.

[٢] ينظر: معترك الأقران ٢/ ٣٦٧.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ٨/ ٥٦.

[٤] طه / ٩، النازعات / ١٥.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١٩٣.

[٦] في ظلال القران ٦/ ٣٨١٤.

[٧] ينظر: فن البلاغة/ ١٣٤.

[٨]طه: / ٤٠، القصص / ١٢.

[٩] ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ٨٤.

٤- اللوم: الاستفهام في قوله تعالى ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [١] خرج الى معنى اللوم، ذلك لان الله لما أمر موسىعليه السلام ان يسير ببني إسرائيل الى الطور، تقدم وحده، مبادرة الى أمر الله، وطلبا لرضاه، وأمر بني إسرائيل ان يسيروا بعده، ولم يراع في ذلك إلا السبق الى ما فيه الخير لنفسه ولقومه، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى الى الطور وحده قال الله له: ﴿وما اعجلك؟﴾ فهذا السؤال على وجه الإنكار لتقدمه على قومه، وقيل ليخبره بما صنعوا بعده من عبادة العجل فاعتذر موسى[٢].

٥- الاستشهاد: ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ [٣] فالسؤال في الآية الكريمة سؤال استشهاد، وهو أمر للنبي محمدﷺ بان يسال بني إسرائيل، أي: سلهم من فرعون، وسلهم عما جرى بين موسى وفرعون، فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب، لان الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى واثبت، لانهم يعلمونها مما لديهم في التوراة، فهم شهداء على ما كان بين موسى وفرعون[٤]. فليس المقصود من السؤال ان تستفيد هذا العلم منهم، وانما ان تظهر لعامة اليهود وعلمائهم صدق ما ذكرته لهم.

٦- التبكيت والتوبيخ: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٥]، فالاستفهام في الآية الكريمة أفاد معنى التكبيت والتوبيخ، فخرج من دلالته الوضعية الى دلالة تعبيرية أخرى دل عليها

---

[١] طه /٨٣.

[٢] ينظر: معترك الأقران ٢/ ٣٧٠، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٧٧.

[٣] الإسراء / ١٠١.

[٤] ينظر: الكشاف ٢/ ٦٩٧، والتفسير الكبير ٢١/ ٦٤- ٦٥، وصفوة التفاسير ٧/ ٧٧.

[٥] الأنعام / ٩١.

السياق وطبيعة الحال والمقام الذي خاطب فيه الله المعاندين، أي: قل يا محمد لهؤلاء المعاندين: من انزل التوراة على موسى نورا يستضاء به وهداية لبني إسرائيل؟، إذ أنهم لم يعرفوا قدر الله حق المعرفة ورحمته بعباده ولطفه بهم، حين أنكروا بعثة الرسل والوحي اليهم، وهذه من اعظم رحمته واجل نعمته، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة، والقائلون هم اليهود.

وقد بالغوا في إنكار إنزال القران على رسول الله ﷺ فألزموا مالا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى عليه السلام وادرج تحت الإلزام توبيخهم، اذ نعى عليهم سوء جهلهم بكتابهم، وتحريفهم له، وإبداء بعضه وإخفاء بعض، فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ [٢]، خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى معنى التوبيخ[٣]، ومن المفسرين من يرى ان الاستفهام في الآية الكريمة جاء لمعنى التعجيب من طغيانهم، ومقابلتهم جميع الرسل في جميع الأزمان مقابلة واحدة، ساوى فيها الخلف السلف، مما دل على ان ذلك سجية في الجميع[٤].

وكذلك خرج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٥] الى معنى التعجب والتوبيخ، فالكلام هو من كلام موسى عليه السلام وقيل: من كلام الله عز وجل أي:

---

[١] ينظر: الكشاف ٢/٤٤.

[٢] البقرة /٨٧.

[٣] ينظر: تفسير الجلالين ،للإمامين جلال الدين محمد الحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٧.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٩٦.

[٥] البقرة/ ٦١.

قال لهم منكرا عليهم: ويحكم أتستبدلون الخسيس بالنفيس؟! وتفضلون البصل والبقل والثوم على المن والسلوى؟! فهو توبيخ شديد، لانه جردة من المقنعات ومن الزجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب والتوبيخ[١]. اذ يأتي الاستفهام بمعنى التعجب في مقام يتعجب فيه المتكلم من مضمون الكلام، والتعبير بأسلوب الاستفهام في مقام التعجب إثارة وتحريك، فقد حرك النفوس في هذه الآية وأثار انتباهها الى قبح ما طلبوا[٢].

٧- الدعاء: ويكون الاستفهام فيه للاستعطاف والتذلل، وهو كالنهي، إلا انه من الأدنى الى الاعلى، كقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [٣] فقوله تعالى (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) أي: «لا تهلكنا»[٤]، وقد علم موسى عليه السلام ان الله لا يهلك أحدا بذنب غيره[٥].

٨- التحريض والإغراء: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [٦]، أي: قال الأشراف لفرعون: أتترك موسى وجماعته ليفسدوا في الأرض بالخروج عن دينك وترك عبادة الهتك؟!، وفي هذا إغراء لفرعون بموسى وقومه، وتحريض له على قتلهم وتعذيبهم، والإنكار على الإبطاء باتلافهم[٧].

٩- الإنكار: «وهو خروج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ان المستفهم عنه أمر منكر عرفا او شرعا»[٨]، ويكون على اوجه: اما إنكار للتوبيخ

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٥٢٣.

[٢] ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢/ ١٠٨.

[٣] الأعراف / ١٥٥.

[٤] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٩٣.

[٥] ينظر: الجامع لاحكام القران ٧/ ٢٩٥.

[٦] الأعراف/ ١٧٦.

[٧] ينظر: صفوة التفاسير ٤/ ٣٦ والتحرير والتنوير ٩/ ٥٨.

[٨] علم المعاني، عتيق/ ١١١.

على أمر وقع في الماضي، بمعنى: ما كان ينبغي ان يكون ذلك الأمر الذي كان، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ [1] فموسى عليه السلام قال مستنكرا خرق السفينة، موبخا الخضر على خرق السفينة الذي يؤدي الى الهلاك: لقد فعلت أمرا منكرا عظيما!![2].

والإنكار في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [3]، صحبه التوبيخ والتهديد على بقائه بين عبدة الاصنام، والمعنى: ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي؟! ومالك لم تلحقني؟[4] «أي: لا مانع لك من اللحاق بي، لانه أقامه خليفة عنه فيهم، فلما لم يمتثلوا أمره كان عليه ان يرد الخلافة الى من استخلفه»[5]. وقوله (أفعصيت امري) «فهو إنكار ثان على مخالفة أمره مشوب بتقرير للتهديد»[6]، والاستفهام في قوله تعالى ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [7]، أفاد الإنكار، فقد انزلوا منزلة من زعم ان الله لم يعدهم وعدا حسنا، والله عز وجل وعدهم ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور، وهذا وعد لم يطل بينهم وبين الله عز وجل حتى ينسوه، «وانه ليس هذا عهدا تلقوه عن إبائهم وأجدادهم، بل هو عهد معقود مع هذا الجيل نفسه!»[8]، ولا وعد احسن من ذاك الوعد واجمل، ولكنهم اجروا أعمالهم على حال من يزعم عدم الوعد الحسن، فأنكر عليهم زعمهم[9].

---

[1] الكهف / ٧١.

[2] ينظر: صفوة التفاسير ٨/ ٢٣، وفن البلاغة /١٣٠.

[3] طه / ٩٢- ٩٣.

[4] ينظر: الكشاف ٣/ ٨٣.

[5] التحرير والتنوير ١٦/ ٢٩١.

[6] المصدر نفسه ١٦/ ٢٩٢.

[7] طه / ٨٦.

[8] التفسير القرآني للقران ٣/ ٨١٧.

[9] ينظر: الكشاف ٣/ ٨٢، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٨٢.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾ [1]، جاء الاستفهام إنكاريا اذ انهم نزلوا منزلة من لا يرى العجل لعدم جريهم على موجب البصروالتعقل، فأنكر عليهم عدم رؤيتهم ذلك مع ظهوره، فلذلك سلط الإنكار على عدم الرؤية، لان حاله مما يرى[2]، فهو تسخيف وتسقيه لعقول القوم، لو كانت بهم مسكة من عقل لما رأوا في هذا الحيوان الها، يعبدونه ويرجون منه ما يرجو العابدون من ربهم![3].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [4]، الرجل المذكور في الآية الكريمة هو الرجل الذي امن سرا، وهو من قوم فرعون، قال لفرعون: أتقتلون رجلا أراد للناس ان يعبدوا الله وحده، ويتلقوا منهجه، فهو ينكر على ال فرعون تفكيرهم في قتل موسى عليه السلام ويوبخهم على هذا التفكير، ولا سيما بعد قول فرعون: (ذروني اقتل موسى وليدع ربه) [5]، فبعد ان سمع هذا الرجل قول فرعون متوعدا موسى بالقتل، نصحهم بقوله (أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله)، فهو استفهام إنكاري لتبكيتهم، أي: أتقتلون رجلا لا ذنب له إلا أن قال: (ربي الله)، من غير تفكر ولا تأمل في أمره؟[6].

ففي الآيات الآنفة المتعلقة بسيدنا موسى عليه السلام وبقومه، رأينا ان الاستفهام قد خرج عن حقيقته الى معان أخرى مجازية، هي: التقرير، والتشويق، اللوم، والاستشهاد، والتوبيخ، والدعاء، والإنكار.....، وهذا الخروج لا بد ان يكون لعله بلاغية يقصد اليها المتكلم، ولم يرد ان يكشفها صراحة، بل يلجأ الى التعبير عنها

---

[1] طه / ٨٩.

[2] ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٨٨ – ٢٨٩.

[3] ينظر: التفسير القرآني للقران ٣/ ٨١٩.

[4] غافر / ٢٨.

[5] غافر / ٢٦.

[6] ينظر: صفوة التفاسير ١٤/ ٧٨.

متخفيا وراء أسلوب الاستفهام، ليصل الى مراده من غير إحراج لنفسه او لغيره من المخاطبين.

ونخلص من ذلك الى ان المعاني المجازية جاءت لتعطي معنى خاصا ونكهة متميزة للسياق، وقد تبين من خلالها ان الاستفهام من اقدر الأساليب البيانية على استيعاب المعاني المتعددة وإيصالها، وجعل السامع يسال ويجيب نفسه، مما يساعد على ترسيخ تلك المعاني في نفسه.

٤- النداء:

(النداء) لغة: مشتق من (الندى) و(النداء، النداء): الصوت، مثل (الدعاء) و(الرعاء) و(قد ناداه، ونادى به، ونادوا مناداة ونداء) أي: صاح به[١].

اما في الاصطلاح (النداء): التصويت بالمنادى ليقبل، او هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نداء نائب مناب (أدعو) لفظا او تقديرا[٢]. « (والنداء) في اصل الاستعمال: مد الصوت لنداء البعيد، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾ [٣] فقد بين تعالى انه كما ناداه ناجاه أيضا»[٤].

وأحرف النداء او أدواته ثمان: (الهمزة) و(أي) و(يا) و(أيا) و(هيا) و(آ) و(آي) و(وا)[٥]. ومما تجدر الإشارة اليه ان المستعمل من أحرف النداء في القران الكريم حرف واحد هو (يا) دون غيره، وبناء على كون الحرف (يا) اكثر حروف النداء استعمالا، وخلو القران الكريم من هذا الحرف في النداء، فقد ذهب العلماء الى انه لا يقدر عند الحذف سوى هذا الحرف[٦]. والفائدة المتوخاة من النداء في القران هي

---

[١] ينظر: لسان العرب (ندى).

[٢] ينظر: التلخيص/ ١٧٢، والمطول /٢٤٤.

[٣] مريم / ٥٢.

[٤] أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،د.قيس أسماعيل الأوسي/ ٢١٧.

[٥] ينظر:جامع الدروس العربيه،الغلاييني٣/١٤٥، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣/ ٣٢٦ وعلم المعاني، عتيق/ ١٢٥.

[٦] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب،أبن هشام الأنصاري ١/ ٧٠٤.

جذب انتباه السامعين، وليس النداء لذاته، وانما تنبيههم للأمر الذي يلي النداء مما يدلل على أهمية هذا الأمر، وهذا الأمر اما ان يكون أمرا او نهيا او استخبارا او حكما. وقد جاء نداء النبي موسىعليه السلام في القران الكريم في (٢٤) موضعا[١]، في (١٢) منها من الله[٢]، وفي (٦) منها من قومه[٣]، وفي (٢) من فرعون[٤]، وفي (٢) من السحرة[٥]، وفي واحد من القبطي[٦]، وفي آخر من الناصح له[٧].

وتختص أدوات النداء بمسافات معينه (الهمزه وأي) تستعملان للقريب، وبقية الادوات تستعمل لنداء البعيد، وقد تستعمل في غير موضعها لاغراض بلاغية منها التنبيه على عظم الأمر المدعو اليه فينزل المنادى القريب منزلة البعيد، فنداء الله عزوجل للنبي موسىعليه السلام جاء بحرف النداء (يا)، الذي وضع لنداء البعيد حقيقة او حكما، وقد ينادي به القريب توكيدا[٨] للتنبيه وكذلك هو نداء الله لموسى بـ (يا)، جاء توكيدا للتنبيه، الذي يفيد ان ما يأتي بعده من الكلام معنى به[٩] قال تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [١٠].

وكذلك ليدلل لنا على علو مرتبة موسى عليه السلام عندهعزوجل فأنزله منزلة البعيد مع قربه منه ودنوه ففي قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [١١]،فجاء النداء من الله عزوجل مبينا مكانة النبي موسىعليه السلام عنده،ومنبها

---

[١] ينظر: دراسات لأسلوب القران الكريم،محمد عبد الخالق عضيمه ٣/ ٦٢٧.

[٢] الأعراف: ١١٤، وطه: ١١، ١٧، ١٩، ٣٦، ٤٩، ٨٣، ٤٠، والقصص ٣٠، ٣١، والنمل ٩- ١٠.

[٣] البقرة / ٥٥، ٦١، والمائدة / ٢٢، ٢٤، والأعراف/ ١٣٤، ١٣٨.

[٤] طه / ٤٩، ٥٧.

[٥] الأعراف / ١١٥، طه / ٦٥.

[٦] القصص / ١٩.

[٧] القصص / ٢٠.

[٨] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب /٧٠٤.

[٩] ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/ ٢٢٢- ٢٢٣.

[١٠] طه/ ٣٦.

[١١] القصص /٣٠-٣١.

على أهمية الأمور الملقاة اليه والرسالة الواجب عليه أدائها ،فالله ﷻ يريد اعداده اعدادا متكاملا ليستطيع مقابلة أطغى الطغاة في ذلك الحين .

اما النداء الذي كان من قوم موسى عليه السلام فقد جاء بحرف النداء (يا) المستعمل في غير موضعه، وذلك لأغراض بلاغية، منها التنبيه على عظم الأمر المدعو اليه، فينزل المنادى القريب منزلة البعيد كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١)، وكقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢). وقد ذكر السيوطي المعاني المجازية التي يفيدها استعمال حرف النداء (يا) في نداء القريب، فقال «اصل النداء بـ (يا) ان يكون للبعيد حقيقة او حكما، وقد ينادى بها القريب لنكت، منها (إظهار الحرص) في وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (٣)، ومنها قصد انحطاطه كقول فرعونُ ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىمَسْحُوراً﴾ »(٤) (٥).

وجاء النداء في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٦)جاء النداء في قوله تعالى﴿ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ ، للترفيق والاستشفاع، وحذف حرف النداء لإظهار ما صاحب هارون من الرعب والاضطراب أي: قال هارون: يا ابن أمي ان القوم

---

(١) البقرة / ٦١.

(٢) المائدة / ٢٢.

(٣) القصص / ٣١.

(٤) الإسراء / ١٠١.

(٥) معترك الأقران ١/ ٣٤٠.

(٦) الأعراف/ ١٥٠.

إستذلوني وقهروني وقاربوا قتلي، وقد نهيتهم ولم يكن معي من الجمع ما امنعهم به عن هذا العمل، فانا لم اقصر في نصحهم[1]،وكلامه هذا وقع بعد كلام سبقه كان فيه حرف النداء، وهو المحكي في سورة طه ﴿قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ [2] لذلك نلحظ ان النداء في آيات النبي موسى عليه السلام جاء بصيغة النداء البعيد (يا) ليدلل على عظم الأمور المهمة التي تأتي بعده، ولم يكن مقصودا في ذاته، بل المقصود ما بعد النداء، وهذه الصيغة لها أثر شديد في جذب أنتباه السامعين والأستحواذ عليه .

[1] ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ١١٦.

[2] طه /٩٤.

الفصل الثاني

المستوى التصويري

الفصل الثاني

المستوى التصويري

التصوير «هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنسان ، و الطبيعة البشرية ،ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة»[١] فالقرآن الكريم يسخر هذه الأداة المهمة لعرض صورة المشهد، و لتقريب الصورة إلى الأذهان، و تجسيدها في صورة حية ، وإعطائها صفة الحياة، فالمعاني لا يكفي أن تكون سامية لتؤثر، بل لابد لهذا السمو من أداة تسمو بها على المألوف[٢]، و هي في القرآن حيوية لـ «تصوير حي منتزع من عالم الاحياء، لا الوان مجردة و خطوط جامدة» [٣]

إذ النص القرآني «يخاطب العقل و الشعور معا، لأن القرآن لا يعتمد على التفكير وحده ،ليقنع و لكنه يتجه إلى إثارة الوجدان إثارة روحية رفيعة ،تحدث السرور في النفس فتقبل ،أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض، و المعرفة وحدها ليست كافية للهداية إذ إن العلم شيء، و السلوك الإنساني شيء آخر لذلك اتجه القرآن إلى التأثير الوجداني ،بعد الحجة المقنعة، ليهز النفوس و يحرك المشاعر» [٤].

نجد أن العبارة القرآنية «تشع بالصورة الحية وظلال المشاهد المتحركة ، وكان لابد لهذه الصورة أن تتناسق، إذ تتمثل في التناسق وحدة الانسجام، من حيث الدقة والقوة ،ومن حيث الإثارة والتأثير، ومن حيث الهدف الذي من أجله صيغت الصور »

---

[١] التصوير الفني في القرآن ،سيد قطب/٣٤.

[٢] ينظر :الإعجاز الفني في القرآن،عمر السلامي/ ٨٨.

[٣] التصوير الفني في القرآن/٣٥.

[٤] المشاهد في القرآن الكريم ، د.حامد صادق/ ٣٠١.

[1] ،وهذه الصور مستمدة من البيئة نفسها، ليصور للقارئ البيئة والمجتمع واللغة ،وحتى كثير من العادات والأخلاق والتقاليد [1] ،«لتظل الذهن البشري بظلال الصورة الحسية، ليدرك المغزى ، ويزداد عمقا في فهم كنه القرآن في تعابيره الفنية وأسلوبه وخصائصه وفلسفته »[2] .

ويعد من خصائص الأسلوب القصصي في القران الكريم :ذكر كلمة أو اقتباس من لغة البيئة نفسها لتدل على البيئة ، ومواقع الأحداث ،فمن الكلمات الأجنبية التي جاءت على لسان النبي موسى﴿عليه السلام﴾ قوله تعالى :﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [3] أي: اطرحيه في البحر، و(اليم) بالسريانية: البحر أو النهر الكبير [4].وقوله تعالى على لسان النبي موسى ﴿عليه السلام﴾ : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائيلَ ﴾[5]، قال أبو القاسم (عبدت بني إسرائيل)معناه (قتلت) بلغة القبط[6]

والتعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة، التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر ، وفي عرضه لتلك المشاهد يتحرى الدقة التامة في انتقاء الألفاظ ، ورسمها للشخصيات ،وابراز الحوار القصصي، في صورة رائعة ،وكأننا نستمع إليه وقت قراءتنا للأحداث القصصية [7] .

ومن الأساليب التي استخدمت في بناء الصورة الفنية في القرآن الكريم: التشبيه ،والمجاز بأنواعه، والكناية.

---

[1] الإعجاز الفني في القرآن / ١٩٨

[1] ينظر :روائع الإعجاز في القصص القرآني ، محمود السيد حسن / ١١٠ .

[2] الإعجاز الفني في القرآن / ١٩٨.

[3] طه / ٣٨-٣٩.

[4] ينظر :روائع الإعجاز في القصص القرآني / ١١١.

[5] الشعراء /٢٢.

[6] ينظر :الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١٣٩/١.

[7] ينظر :من روائع الإعجاز في القصص القرآني / ١١٦.

المبحث الأول

التشبيه

(التشبيه) في اللغة : التمثيل أو المماثلة، ويقال:(شبهت هذا بهذا تشبيها) ، أي مثلته به ، و(الشبه والشبَه): المثل، والجمع: (أشباه)و(أشبه الشيء): مثله ، و(شبه عليه): خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره. [١]

و(التشبيه) في الاصطلاح «هو العقد على ان أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس او عقل »[٢] وهو «الوصف بان أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بإداة تشبيه ناب منابه او لم ينب »[٣] ، وهو«أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به»[٤].

والتشبيه في القرآن لم يكن هدفا يقصد اليه دون أن يستتبع المعنى ،او يكون جزءا أساسيا لا يتم المعنى بدونه، وتتوقف عليه دلالة الآية [٥] ، «ومقدرته الفائقة في اختيار الفاظه الدقيقة المصورة والموحية »[٦]، فهو نمط من أنماط التصوير القرآني الذي يؤتى به لغرض التأثير النفسي في العاطفة والعقل معا ،لتأنيس النفس بإخراجها من خفي الى جلي ،وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا ، وقيل :الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.[٧]

فهو غير مقيد ببيئة معينة أو عصر معين ، وانما هي تشبيهات عامة تستمد من الطبيعة عناصرها ، وتتسق مع الغرض الذي سيقت من أجله، مع الدقة في

---

[١] ينظر :لسان العرب (شبه).

[٢] النكت في إعجاز القرآن: لابي الحسن بن علي الرماني ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) / ٧٤ ، وينظر:إعجاز القرآن ،الباقلاني / ٣٣٣ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٦٦/٤.

[٣] كتاب الصناعتين /٢٤٥.

[٤] البرهان في علوم القرآن ٤١٤/٢.

[٥] ينظر: البلاغة العربية ،د.ناصر حلاوي و د.طالب محمد الزوبعي /٥٠ – ٥١.

[٦] التعبير الفني في القرآن الكريم ،د.بكري الشيخ امين /١٩٢.

[٧] ينظر: المصدر نفسه /١٩١.

اختيار الألفاظ، فضلا عن أنها كانت بعيدة عن ترف الخيال ورعونة العاطفة وسرف القول وفضوله.[١]

يقول ابو هلال العسكري في فائدة (التشبيه): «التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، فقد جاء عن القدماء أهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان »[٢] إذ انه من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها[٣]

والتشبيه مقصود لذاته، فهو ليس وسيلة نتوصل به الى معرفة أسلوب آخر، وانما جيء به ليؤدي رسالة ذات أثر وليحقق أغراضه النفسية والنفيسة المقصودة من علم البيان ،فهو من هذه الناحية لا يقل عن الاستعارة والكناية، بل نظن أن الأثر الذي يحدثه التشبيه في النفس يزيد على ما يحدثه غيره من الأساليب، ذلك أن المجاز والكناية لا تدركهما النفس بيسر وسهولة .[٤]

وأكد الزمخشري في تفسيره أهمية الأمثال والتشبيهات في جلاء المعاني، وابرازها، وتقريبها من، الإفهام فهو يرى أن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطريق الى المعاني ،[٥]«وأسلوب التشبيه أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة على المعنى »[٦].

والقرآن الكريم يعمد الى أسلوب التشبيه في القضايا الخطيرة وذات الشأن ، فهو لا ياتي بهذا الأسلوب إلا حينما يكون هناك أمر يراد تقريره ، وتثبيته في النفوس ،وهذا ما يجعله يختلف عن كثير من التشبيهات عند الناس.[٧]

---

[١] ينظر: البلاغة فنونها وافنانها،علم البيان والبديع،د.فضل حسن عباس ٨٧/٢.

[٢] كتاب الصناعتين / ٢٤٣.

[٣] ينظر :الإتقان في علوم القرآن ٤٢/٢.

[٤] ينظر :البلاغة فنونها وافنانها ١٨/٢.

[٥] ينظر: اثر البلاغة في تفسير الكشاف / ١٥٨.

[٦] علم البيان ، عبد العزيز عتيق /١٠٥.

[٧] ينظر: المصدر نفسه ،الموضع نفسه.

بلاغة أسلوب التشبيه تتضح من خلال إثباته للمشبه حكماً من أحكام المشبه به . أو إلحاق شيء بذي وصف ،وقيل :هو الدلالة على تماثل شيئين في وصف، وهو من أوصاف الشيء الواحد ،وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين شيئين .[١]

وقد حدد البلاغيون أربعة أركان للتشبيه، هي :

١. المشبه ،وهو الشيء الذي يراد تشبيهه وابراز صفته وبيان حاله .
٢. المشبه به ،وهو الشيء الذي يشبه به ،وتتضح فيه صفة المشبه وحاله .
٣. وجه الشبه، وهو ما يشترك فيه طرفا التشبيه من الوصف .
٤. أداة التشبيه، وهي كل لفظ يدل على المشابهة ،وقد تكون حرفا أو اسما أو فعلا.

إن المشبه والمشبه به هما طرفا التشبيه ،ولا يجوز حذفهما، أو حذف أحدهما. أما وجه الشبه وأداة التشبيه فيجوز حذفهما معا ،أو حذف أحدهما.[٢]

ومن التشبيهات التي جاءت في آيات النبي موسى عليه السلام قوله تعالى مخاطبا النبي موسى عليه السلام يأمره بإلقاء عصاه ليرى المعجزة بنفسه فيأنس بها: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّارَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[٣]

الآية الكريمة تذكر لنا نداء الله تعالى لموسى عليه السلام للاصطفاء، ووراء هذا الاصطفاء التكليف بحمل الرسالة إلى أكبر الطغاة في الأرض في ذلك الحين ، ومن ثم جعل ربه يعده ويجهزه ويقويه لتحمل أعباء الرسالة، فأمره بإلقاء العصا ، فإذا هي تدب وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيات، فوجه الشبه الخفة وسرعة الحركة .[٤] «والجان : فرخ الحيات، وهو أخفها حركة وأسرعها انطلاقا على الأرض . وقد جاء في(سورة طه):﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ

---

[١] ينظر: الأمالي في علم البيان وتاريخه ، علي عبد الرزاق /٧٥.

[٢] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٧٢/٢-١٧٥.

[٣] القصص/ ٣١.

[٤] ينظر :في ظلال القرآن ٢٥٩٩/٥، وصفوة التفاسير ٦٧/١٠.

تَسْعَى ﴾ [١] ، وهذا يعني أن العصا صارت حية في ضخامتها وجاناً في سرعتها وخفتها ....ولهذا وصفت بأنها تسعى ،فالحيات حين تكبر وتضخم لا تكاد تتحرك من مكانها، فضلا عن أنها تسعى »[٢] ، فتشبيهها (بالجان) من جهة اهتزازها و شدة اضطرابها في الحركة وسرعتها كالجان، إذ إن للحيوان حركة تدل عليه، إذا رؤي عليها لا يشك في أنه حيوان بها ، وهي في صورة الثعبان، جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[٣]، « وقيل في تشبيهها بالجان معنى آخر ، ذلك أن الحية إذا هرمت صغرت في بدنها، وخفت في حركتها، وكان المراد أنها في صورة الثعبان القديم، الذي قد تضاءل جسمه، ولطفت أجزاؤه، وهو أعظم للآية وأغرب في المعجز»[٤] ، فجاء التشبيه مرسلا مجملا ،إذ ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه .[٥] وكذلك تصور الآية مشهد رد الفعل عند موسى عليه السلام عندما كانت تلك العصا خشبة جامدة في يده منذ لحظات، وقد تحولت الى ثعبان عظيم، وتتحرك كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيات، أدركت طبيعة موسى الانفعالية، وأخذته هزة المفاجأة ،فيجري بعيدا عن الحية، دون أن يفكر في الرجوع، «وقوله ﴿وَلَمْ يُعَقِّبِ﴾[٦] إشارة إلى أنه لم يتراجع الى الوراء قليلا على عقبه، حتى ينكشف له الأمر ويتبين إن كان سيقبل أم سيدبر....»[٧]فإذا بنداء الله تعالى المطمئن المشعر له بأنه ليس وحده مع الثعبان العظيم ، فهذا هو صوت الحق يملأ الوحشة أنسا﴿ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٨] فعبارة (يا موسى) تفعل فعلها في هذا الموقف، إذ أن المنادي يعرف موسى، فتذهب عنه شيئا مما استولى عليه من

---

[١] طه /٢٠.

[٢] التفسير القرآني للقرآن ٢١٦/٤.

[٣] الأعراف / ١٠٧ ،و الشعراء / ٣٢ .

[٤] الجمان في تشبيهات القرآن ،لأبن نافيا البغدادي/ ١٨٧ .

[٥] ينظر: صفوة التفاسير ٨/١١.

[٦] القصص /٣١.

[٧] التفسير القرآني للقرآن ٢١٧/٤.

[٨] النمل /١٠.

الخوف والفزع ، عند ذلك يعلم موسى أنه قد اختير لرسالة سماوية، والمرسلون لا ينالهم من الله ما يخيفهم [١] ،وكذلك كل عبد صالح يؤمن بالله ولا يتبع خطوات الشيطان ،يشعر بأن الله معه في كل مكان يؤنس وحشته ،ويخفف عنه ما يجده في هذه الحياة ،فيتحلى بالصبر، ويتخلق بإخلاق الأنبياء والمرسلين عليهم افضل الصلاة والسلام.[٢]

وقال تعالى وهو يوضح للنبي موسى عليه السلام طريق النجاة وهلاك اعدائه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ،[٣] النص الكريم يصور لنا معجزة الله تعالى التي يؤيد بها انبياءه واولياءه اذ يوحي الله لموسى عليه السلام ان يسري بعباد الله ، فاتبعه جنود فرعون في الصبح بمكر من فرعون وبطر ، حيث صورت مشهد وقوف النبي عليه السلام وقومه امام البحر، وليس معهم سفين، ولا هم يملكون خوضه ، وما هم بمسلحين، لقد قاربهم فرعون بجنوده، شاكي السلاح يطلبهم ولا يرحمهم وحالهم يقول :ان لا مفر والبحر امامهم والعدو خلفهم ، ولكن موسى عليه السلام يتلقى الوحي من ربه وهو متيقن من عون الله له :(فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ)َ أي :امرناه بطريق الوحي ان يضرب البحربعصاه ،فضربه فانشق وانفلق ، ولا يتمهل السياق ليقول :انه ضرب بعصاه البحر ، فهذا مفهوم ،انما يعجل بالنتيجة : (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) ولان انفلاقه كان بضربة اعظم في النعمة عليه، واقوى لعلمهم ان ذلك انما حصل لمكان موسى عليه السلام فكان كل فرق كالطود العظيم ، وقعت المعجزة ،وانكشف بين فرقي الماء طريق يابس،ومسك الماء على جانبي الطريق كالجبل في رسوخه وثباته،وتطاوله في السماء، ليدلل على عظم شان الامر، فجاء التشبيه مرسلا مجملا، ذكرت فيه اداة التشبيه، وحذف وجه الشبه.[٤]

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن ٢٦٢٩/٥.

[٢] ينظر: التفسير القرآني للقران ٢١٧/٤.

[٣] الشعراء/ ٦٣.

[٤] ينظر: في ظلال القرآن ٢٥٩٩/٥ ، وصفوة التفاسير ٦٧/١٠.

و في قوله تعالى ،وهو يحذر المؤمنين من إيذاء الرسول ﷺ كما آذى اليهود نبيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾[1] ،يشبه حال المنافقين الذين يحاربون الدعوة الإسلامية، ويدخلون الأراجيف والدسائس على من في قلوبهم مرض من المسلمين، فيفتنونهم في دينهم كحال اليهود الذين آذوا نبيهم ومنقذهم موسى عليه السلام، ولم يحدد القران نوع الإيذاء لموسى، ولكن وردت روايات تحدده ولا نرى حاجة في الكلام فيه، وقد برأ الله موسى عليه السلام مما رماه به قومه (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) أي: ذا وجاهة و ذا مكانه ، و الله مبرئ رسله من كل ما يرمون به كذبا و بهتانا ،و محمد ﷺ افضل الرسل واولاهم بتبرئة الله لهم و الدفاع عنهم[2] فالتشبيه جاء بصيغة النهي ليحمل نهيا ، و يوجه المؤمنين الى تسديد القول و احكامه و التدقيق فيه ، و معرفة هدفه و اتجاهه قبل ان يتابعوا المنافقين و المرجفين فيه في كل عصر و زمان، و يوجههم الى القول الصالح الذي يقود الى العمل الصالح ، والله عز وجل يسدد خطاهم و يصلح أعمالهم جزاء التصويب و القول السديد ، و يغفر لذوي الكلمة الطيبة، و يكفر عن السيئة التي لا ينجو منها إنسان و فائدة التشبيه في الاية الكريمة تشويه الحالة المشبهه، لينفر حس كل مؤمن من ان يكون كهؤلاء المنحرفين الملتوين الذين يضربهم القران مثلا صارخا للانحراف و الالتواء [3] و قوله تعالى للمسلمين الذين كانوا يسالون النبي محمداً ﷺ عن امور لا خير لهم بالبحث عنهاكما سال اليهود موسى عليه السلام : أتريدون ان تسالوا نبيكم كما سال قوم موسى نبيهم من قبل ،و يكون مثلكم كمثل اليهود الذين قالوا لنبيهم:(أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَة) [4] فتضلوا كما ضلوا ،قال تعالى :﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ

---

[1] الأحزاب / ٦٩.

[2] ينظر: في ظلال القرآن ٥/٢٨٨٤ .

[3] المصدر نفسه ، الموضع نفسه، و ينظر التحرير و التنوير ٢٢/١١٩.

[4] النساء /١٥٣.

مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [1] ، الخطاب في الآية الكريمة موجه الى المؤمنين ،و يحمل رائحة التحذير ، و رائحة التذكير بان الله هو وليهم و ناصرهم ،و يستنكر تشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم و اعناتهم لرسولهم ،على نحو ما حكى السياق في مواضع كثيرة فقوله تعالى: (كمَا سُئِلَ مُوسَى) تشبيه وجهه ان في اسئلة بني إسرائيل لموسى كثيرا من الاسئلة التي بها الكفر و الضلال ،و التي تنبئ عن خبث طويتهم و فساد سريرتهم،وعن استبدال الكفر بالايمان ،و هي النهاية التي صار اليها بنو إسرائيل، فيكون التحذير من تسلسل الاسئلة المفضي الى مثل ذلك ،و ان لا يكونوا مع النبي ﷺ كما كان اليهود مع موسى عليه السلام ،و هذه النهاية يتمنى اليهود لو قادوا اليها المسلمين ،حسدا من عند انفسهم تجاه الاسلام و المسلمين ،تمثل في دسائسهم و تدبيراتهم ، و هو الذي يكشفه القران للمسلمين، ليعرفوه و يعرفوا انه السبب وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم، و ردهم بعد ذلك الى الكفر، الذي أنقذهم الله منه بالإيمان ،و خصهم باعظم الفضل و اجل النعمة، التي تحسدهم عليها يهود .[2]

و قوله تعالى يذكر بني اسرائيل ،على لسان النبي موسى عليه السلام بنعم الله عليهم ،حاثا اياهم على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الطاعة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾، [3] فمن النعم الثلاث التي أعدها لهم :جعلهم ملوكا، مشبها إياهم بالملوك في تصرفاتهم، و سلامتهم من العبودية ، فهو من التشبيه البليغ أي: كالملوك في رغد العيش و راحة البال ،فحذف اداة الشبه و وجه الشبه، فاصبح بليغا ، و يسمى بليغا لما فيه من اختصار من جهة ، و لما فيه من تصور و تخيل من جهة اخرى [4]

---

[1] البقرة/ ١٠٨.

[2] ينظر :في ظلال القرآن ١٠٢/١،و التحرير و التنوير ١/ الكتاب الثاني/ ٦٦٦.

[3] المائدة / ٢٠.

[4] ينظر:معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ١٨٠/٢.

«و استعمل الفعل (جعلكم) في معنى الاستقبال ،مثل ﴿أتى أمر الله ﴾،[1] قصدا لتحقيق الخبر، بشارة بما سيكون لهم » [2]. فالآية تصور لنا بني إسرائيل و ما اتصفوا به من الجبن و النكوص على الاعقاب و نقض المواثيق ، اذ انهم على ابواب الارض المقدسة (ارض الميعاد)، التي من اجلها خرجوا ، فهي الارض التي وعدهم الله ان يجعل فيهم انبياء و يجعل فيهم ملوكا ، و ذلك ما لم يؤت احدا من العالمين حتى ذلك التاريخ ، فكل وعد من الله حق و يقين، و قد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده ، و لكن اليهود و طبيعتهم التي جبلوا عليها تبدو على حقيقتها و يبينها الله ﷻ مكشوفة بلا حجاب.

و قوله تعالى في (سورة طه): ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[3] الخطاب من الله تعالى الى موسى و هارون (عليهما السلام) ،عندما بعثهما الى فرعون ، فشبه الله ﷻ الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين ، و اللين حقيقة من صفات الأجسام ، و هو رطوبة ملمس الجسم و سهولة ليه ، و ضد (اللين): (الخشونة)، و (القول اللين): الكلام الدال على معاني الترغيب و العرض[4].

« و الغرض من الدعوة: حصول النفع، لا حصول زيادة الضرر، فلهذا امر الله تعالى بالرفق »[5] ، و ان من عادة الجبابرة اذا غلظ لهم في الوعظ ان يزدادوا عتوا و تكبرا ، لذا وجب الرفق ،لانه لا يثير العزة بالاثم ،و لا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ، و من شأنه ان يوقظ القلب فيتذكر و يخشى عاقبة الطغيان ، و يظهر للمخاطب أن رأيه سديد، مما يساعد على تقبل الحق، و يميز به الحق من الباطل.[6]فالله ﷻ يوجه كل داعية الى سبيل الله ان يستخدم اسلوب الحكمة و المعاملة الحسنة، لما لها من اثر في النفوس و ان كانت هذه النفوس طاغية ، و

---

[1] النحل /١.

[2] التحرير و التنوير ١٦١/٦.

[3] طه/٤٤.

[4] ينظر : التحرير و التنوير ٢٢٥/١٦.

[5] التفسير الكبير ٥٨/٢٢.

[6] ينظر: في ظلال القرآن ٢٣٣٦/٤،والتحرير و التنوير ٢٢٥/١٦.

عليه ان لا يصاب باليأس من هدايته ، وانما يرجو الله ان يعينه لهداية هذه النفوس ،وان ياخذ بالأسباب في جميع امور الحياة .والذي ييأس من اهتداء احد يدعوه، لا يبلغ الدعوة بحرارة ولا يثبت عليها في وجه الطغيان والجحود .[١] «وهذا كلام يذهل العقول، ويسحر الألباب، وجاء على احسن هيئة، ورتب على اعجب ترتيب ،من حسن الملاطفة والاستدراج ،والرفق في الخصمة والحجاج، والأدب العالي وحسن الخلق الحميد »[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣] ،يمهد الله تعالى لذكر النبي محمد ﷺ والكتاب الذي تلقاه من الله تعالى ، فالكتاب الذي اتاه الله تعالى لموسى انما كان على فترة من الرسل ، وبعد هلاك كثير من القرون ، فكما ارسل موسى عليه السلام على فترة من الرسل بالتوراة الذي فيه بصائر للناس وهدى ورحمة، ارسل النبي محمد ﷺ على فترة من الرسل بالقران الكريم فيه بصائر للناس وهدى ورحمة «و(البصائر): جمع (بصيرة) ، وهي ما يستبصر بها الى طريق الحق والهدى»[٤] فيشبه الله تعالى هذه الكتب السماوية بالأنوار لقلوب الناس ،حيث يستبصر بها العبد في امور الدين، ويستدل بها على طريق الفوز برضا الله تعالى والنجاة من عقابه، فحذف اداة التشبيه ووجه الشبه، فاصبح التشبيه بليغا لما فيه من اختصار من جهة، ولما فيه من تصور وتخيل من جهة اخرى [٥]

وهكذا يكون التشبيه من الاساليب البلاغية والبيانية التي تحمل الجمال الفني والابداع في التصوير اذ نجد التشبيه جزءاً اصيلاً في المعنى، وتميز بالدقة في اختيار الصور التي تنطوي على عدة معان ،ليستغلها في تحقيق العمق في التصوير

---

[١] ينظر :في ظلال القرآن ٢٣٣٦/٤.

[٢] من أسرار البلاغة في القرآن /١٥٦

[٣] القصص / ٤٣.

[٤] التفسير القرآني للقرآن ٣٥١/٤.

[٥] ينظر: المصدر نفسه ،الموضع نفسه،و صفوة التفاسير ٤٦/١١.

وايصال المعنى ، لذلك فهو يضع الصورة امام المرء لتأنس بها النفس وينخلع لهاالقلب ، ليكون شاهدا حيا على بلاغة القرآن.

المبحث الثاني

المجاز والاستعارة

المجاز في اللغة مأخوذ من « (جزت الطريق) و(جاوزت الموضع جوازا) بمعنى: جزته ، و (المجاز) و (المجازة): الموضع» [١]، فـ (المجاز) :اسم للمكان الذي يجاز فيه، كـ (المعاج) و (المزار) و اشباهها، و حقيقته: هي الانتقال من مكان الى اخر ، و اخذ هذا المعنى و استعمل للدلالة على نقل الالفاظ من معنى الى اخر [٢] و في ذلك قال عبد القاهر: « (المجاز): (مفعل)من (جاز الشيء، يجوزه) إذا تعداه ،و إذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة ، وصف بانه (مجاز) على معنى: انهم جازوا به موضعه الأصلي ، او جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا» [٣].

وكذلك هو، في الاصطلاح، قال الجرجاني :« و اما (المجاز) فقد عول الناس في حده على حديث النقل، و ان كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز»[٤]، فـ (المجاز): اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة بين المعنيين ،مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي [٥].

وهكذا نجد المعنى الاصطلاحي مأخوذاً من المعنى اللغوي للفظة . و للاستعمال المجازي للألفاظ اثر في النفس بما يحدثه من سرور ، و العرب استعملت المجاز بسبب ميلهم الى الاتساع في الكلام، و بتكثير معاني الألفاظ ،ليكثر الالتذاذ بها ، فان لكل معنى لذة في النفس ، و لها الى فهمه ارتياح و صبوة ،لذلك كثر في كلامهم حتى خالط الحقيقة، و خالط بشاشة قلوبهم حتى اتوا منه بكل معنى

---

[١] لسان العرب (جوز)

[٢] ينظر: المثل السائر ١/١٠٥

[٣] أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني /٣٦٥

[٤] دلائل الإعجاز/٦٦

[٥] ينظر :جواهر البلاغة/٢٩٠

رائق و لفظ فائق [١] اذ تميز بقدرته على ان يخرج المعنى متصفا بصفة حسية ، تكاد تعرضه على عيان السامع و لذلك شغفت العرب باستعماله [٢] ، اذ انه في اغلب الاحيان ،ابلغ من الحقيقة و احسن موقعا في القلوب و الاسماع ، فهو دليل الفصاحة و راس البلاغة، و به بانت لغتها عن سائر اللغات، [٣] فهو ينتقل« بذهن السامع الى آفاق جديدة و صور رائعة ، ومشاهد متناسقة لا تاتي بالاستعمال الحقيقي»[٤] .

و (المجاز) نوعان: المجاز اللفظي او اللغوي : وهو ما كان مرجعه الى اللغة، لان الكلمة استعملت في غير ما وضعت له أصلا ، من حيث اللغة ، لعلاقة بين المعنيين ،مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقي [٥] ،و هو نوعان:(المجاز المرسل)و(الاستعارة).

المجاز المرسل: « هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه و ما وضع له ملابسة و مناسبة غير المشابهة، كـ (اليد) اذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة ، و بواسطتها تصل الى المقصود»[٦]. و هو ضرب من التوسع في أساليب اللغة ، و فن من فنون الايجاز في القول ،« و سمي (مرسلا) لان (الإرسال) هو: الإطلاق ، فهو مطلق في علاقاته ،يبعث على التامل و التفكير، و يفتح للمعاني افاقا جديدة ترتاح لها النفس »[٧] و قد جيء بالالفاظ استعملت مجازا في ايات النبي موسى عليه السلام ،فكان فيها الحسن و المزية ، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[٨] الله عز وجل في الآية الكريمة يؤكد للناس مجيء الساعة ،و انه يكاد يخفيها عن، نفسه فكيف يعلنها لهم؟! مبالغة في

---

[١] ينظر: الفوائد المشوق الى علوم القرآن و علم البيان/١٠

[٢] ينظر: جواهر البلاغة/٢٩٠.

[٣] ينظر: العمدة ،ابن رشيق القيرواني ٢٦٦/١.

[٤] الصورة الفنية في المثل القرآني،محمد حسين علي الصغير /١٥٢.

[٥] ينظر :البلاغة فنونها و أفنانها ١٣٧/٢-١٣٨.

[٦] علوم البلاغة/ ٢٥٧-٢٥٨.

[٧] المصدر نفسه،الموضع نفسه.

[٨] طه/١٥.

عدم اطلاع الغير عليها . [1] ((فالإخفاء) هو: الستر و عدم الاظهار ، و اريد به هنا المجاز عن :عدم الإعلان))[2]، و معنى قوله تعالى(بِمَا تَسْعَى) :بما تعمل ، فاطلاق (السعي)على (العمل) مجاز مرسل[3]، فقد رسم لنا المجاز صورة نابضة بالحياة ، إذ ان الساعة هي الموعد المرتقب للجزاء، الذي تتوجه اليه النفوس ،فتحسب حسابه، و تسعى لأجله في هذه الحياة الدنيا، و تخشى سوء عاقبته . فالله ﷻ يخفيها لحكم كثيرة الله اعلم بها ،و لكن لا بد من مجهول في حياة الإنسان ،فهو عنصر أساسي في حياة البشر و في تكوينهم الفطري، و لكي يكون الإنسان في استعداد دائم و حذر دائم و مراقبة دائمة لاعماله ،خوفا من المجهول، فيعمل و يسعى و يبدع في الأرض بما شاء له الله ان يبدع .[4]و هذا من لطفه سبحانه و تعالى، اذ جعل من الدقة الفنية في التعبير وسيلة لتقريب معاني حقائق الآخرة إلى مداركنا و حواسنا و نفوسنا ، و لكي نعايشها و ندرك حقيقة وجودنا و هدفنا في الحياة .[5]

و قوله تعالى(في كتاب) في سؤال فرعون لموسى عليه السلام عن حال القرون الاولى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى۝ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾[6]:((يحتمل ان يكون (الكتاب) مجازا في: تفصيل العلم ،تشبيها له بالأمور المكتوبة))[7]، لهذا أحال موسى عليه السلام ذلك الغيب البعيد في الزمان الى ربه، فهو الذي يعلم شان تلك القرون كلها، في ماضيها و مستقبلها و أحوالها و أعمالها ،عند ربي مسطر في اللوح المحفوظ . فيصور لنا المجاز هنا ان للإنسان تاريخا مكتوبا في كتاب عند الله ﷻ ،منذ ولادته الى وفاته ،و قبل ان يخلق، مما يدفع بالإنسان الى ان يؤمن بالله و قضائه و قدره، و انه ليس له يد في كل ما يصيبه في هذه

---

[1] ينظر: التفسير الكبير ٢٢/٢٢.

[2] التحرير و التنوير ٢٠١/١٦.

[3] ينظر:صفوة التفسير ٢٠٢/١٦.

[4] ينظر: في ظلال القرآن ٢٣٣١/٤.

[5] ينظر :الإعجاز الفني في القرآن / ٢٢١.

[6] طه /٥١-٥٢.

[7] التحرير و التنوير ٢٣٥/١٦.

الحياة الدنيا، وانما هذه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها الا الله ،في كتاب لا تضيع فيه صغيرة و لا كبيرة ،اذ لا يضل ربي و لا ينسى .

وفي قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] جاء المجاز في قوله تعالى(ضِيَاءً) ،و هو: النور ،يستعمل مجازا في الهدى و العلم ،و هو استعمال كثير [2]. يصور لنا المجاز في الاية الكريمة ان ما اشتملت عليه الكتب السماوية من ايات الله و كلماته هي كالنور غاية في الوضوح ،يتوصل بها الى طريق الهدى و سبل النجاة ،من خلال معرفة الله تعالى و الشرائع ، فهي تضيء نفوس المتقين الذين تدبروا هذه الآيات و أيقنوا بأنها هدى و رحمة و نور من الله ﷻ ، وبذلك يعرض الله ﷻ باليهود ، بانهم على ضلال ،وانهم مدعون ،الى ان يصححوا عقيدتهم في ضوء هذا الكتاب الذي بين يدي الناس والكتاب الذي جاء به النبي محمد ﷺ [3] .

وقوله تعالى﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[4] ، يصور لنا من يطغيهم المال وزينة الدنيا من الصحة والجمال واللباس والدواب وأثاث البيت ، وما يزيد على هذه الأشياء من الصامت والناطق ، فكفروا بنعم الله ،وحاربوا الله تعالى ،وكانت تلك الأموال سببا في طغيانهم وعتوهم وضلالهم ، هذه الصورة ممثلة بفرعون وقومه ، والواقع المشهود في عامة الناس.

وتبين الآية الكريمة ما كان من دعاء موسى عليه السلام بهذه الكلمات التي يسطع فيها الإيمان المؤثر، فيدعو الله تعالى﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لانه دعا الله ان ينزل بفرعون و ملئه عقابه، بسلب النعم و ذهاب الأموال، فيكون هذا العقاب الذي يذل كبرياءه، و يذكر سبب هذا الدعاء بان حبهم للمال و للدنيا ،

---

[1] الأنبياء /٤٨.

[2] ينظر: التحرير و التنوير ٨٩/١٧.

[3] ينظر :التفسير القرآني للقرآن٩٠٩/٣.

[4] يونس / ٨٨.

كان سببا في ترك الدين و سببا في الجحود و العناد و الإنكار. وفي قوله تعالى (حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) ،(الرؤية) مستعملة في: الإحساس على وجه المجاز، فصورت ما يكون من عقاب أمثال هؤلاء البشر بسلب النعمة ، و ذهاب الأموال و السلطان ،و يريهم ضربا من العقاب المعجل لهم في الدنيا ثم لا يكون لهم عبرة و عظة تفتح قلوبهم على الله و الايمان به، بعد ان ختم الله عليها بسبب طغيانهم و تركهم الإيمان بالله ،فلا تقبل خيرا ابدا ،ولن يقبل منهم الايمان، لان الايمان عند حلول العذاب لا يقبل، و لا بد من توبة حقيقية باختيار الإنسان.[1]

وفي قوله تعالى﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2] نجد المجاز في لفظة(فخذ) التي تستعمل في: تناول الشيء، نجدها هنا قد استعملت مجازا للتلقي و الحفظ لما جاء في الشريعة و الرسالة، و التمسك و العمل بها ، ليصور لنا المجاز الأمر الإلهي الجليل لموسى عليه السلام و لقومه بان يأخذوا بما في الشريعة من التكاليف الشاقة، بوصفه الأحسن لهم و الاصلح لحالهم ، اذ ان العقيدة امر مهم عند الله تعالى في هذا الكون و في حياة الإنسان، في هذه الأرض و في الدار الآخرة، فهي منهج الله الذي يغير اسلوب الحياة البشرية برمتها، و يقيم هذه الحياة على نظام سماوي غير الذي تجري عليه بعيدا عن ذلك المنهج العظيم . و امر له هذه الاهمية في حياة الإنسان، يجب ان يؤخذ بقوة ،و لا ينبغي ان يؤخذ برخاوة، و ليس معنى(القوة): التشدد و التعنت و التعقيد ،فهذه صفات ليست من طبيعة دين الله ،و لكن معناه: الجد و الهمة ، و طبيعة بني إسرائيل بصفة خاصة تحتاج الى هذا التوجيه و التعليم و الإرشاد ، بعدما أفسدها طول الذل و العبودية في مصر، فكل نفس بشرية تعودت الذل و الخضوع تحتاج الى هذا الأمر المصحوب بالتشدد و التوكيد تربية لها على الاستقامة و الجد و الوضوح .[3]

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن ١٨١٧/٣، والتحرير و التنوير ٢٧٢/١١ ، وصفوة التفاسير ٨٠/٥ والتفسير القرآني للقرآن ١٠٦٩/٣.

[2] الأعراف / ١٤٥.

[3] ينظر: في ظلال القرآن ١٣٧٠/٣.

و في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] نجد المجاز في قوله:(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) فـ (الفؤاد) مستعمل في معنى: العقل و اللب ،و(الفراغ) مجازي « و معنى (فراغ العقل من أمر): مجاز عن :عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازيا ، أي :عدم جولان معنى ذلك الأمر في العقل ،أي :ترك التفكير فيه » [2] ، فالمجاز هنا يعرض لنا صورة للآلام النفسية التي عانتها ام موسى بعد ان ألقت بوليدها في اليم، فاصبح هناك فراغ كبير في حياتها و مشاعرها و أحاسيسها اذ تعطلت، بفقدان الطفل كل العواطف التي تملا بها الام فراغها مع الطفل ،من سهر عليه ،و مناغاة له ،و اشتغال به في نومه و يقظته و بكائه ، [3] فـ « التفسير القرآني يصور لنا فؤاد الام المسكينة صورة حية (فارغا) لا عقل فيه و لا وعي و لا قدرة على النظر او التصريف» [4].

وهكذا نجد المجاز في الآيات الكريمات قد جاء ليكشف بوضوح عن المعنى و يعكس في الوقت نفسه التعبير المعجز المتسم بالدقة و الوضوح و العمق و الشمول .

الاستعارة:

---

[1] القصص / ١٠.

[2] التحرير و التنوير ٢٠/٨٠.

[3] ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٤/ ٣١٥.

[4] في ظلال القرآن ٥/٢٦٨٠.

في اللغة مأخوذة من العارية،و (استعار): طلب العارية ، و (استعار الشيء منه استعارة) : طلب منه ان يعيره إياه ،أي :هو نقل الشيء من شخص ،حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار اليه، و هي مأخوذة من قولهم:(استعار المال): طلبه عارية. [١] اما في الاصطلاح فهي : « ان تذكر احد طرفي التشبيه، و تريد الطرف الاخر، مدعيا دخول(المشبه)في جنس (المشبه به) ، دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به »[٢].

و ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني« ان الاستعارة ان يكون للفظ اصل في الوضع اللغوي معروف، تدل عليه الشواهد، ثم يستعمله الشاعر او غير الشاعر في غير ذلك الاصل ،و ينقله اليه نقلا غير لازم ،فيكون هناك كالعارية »[٣] ، و بانها :ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ، و نقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، ولم يكن الاسم بذلك مزالا عما وضع له بل مقرا عليه . [٤] و لا بد لهذه الاستعارة من فائدة نجدها، و الا فالحقيقة أولى منها استعمالا و هذه الفائدة « اما ان تكون شرح المعنى و فضل الابانة عنه ، او تاكيده و المبالغة فيه ، او الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ،او تحسين المعرض الذي يبرز فيه »[٥] ، فهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها .

والاستعارة تختلف عن التشبيه ،اذ اننا نضمر تشبيها ما في أنفسنا ونحذف أحد طرفيه ،فندعي ان احد الطرفين هو عين الاخر ، فالاستعارة :تشبيه حذف أحد طرفيه . فبيئة الاستعارة الأولى التي ولدت فيها مقوماتها الاساسية هي النفس.[٦] «فالاستعارة تعطي الإيجاز مع التشبيه البليغ » [٧] ، وهي «بيان التشبيه»[٨] اذ هي من ادق

---

[١] ينظر :لسان العرب (عور) .

[٢] مفتاح العلوم / ٥٩٩.

[٣] أسرار البلاغة/٢٩.

[٤] ينظر :دلائل الإعجاز / ٣١٨-٣٢٠.

[٥] كتاب الصناعتين /٢٦٨.

[٦] ينظر :البلاغة فنونها وافنانها ١٥٨/٢.

[٧] البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ،كمال الدين عبد الواحد/١١٠-١١١.

[٨] إعجاز القرآن/ ٣٣٦.

أساليب البيان تعبيرا وارقها تاثيرا ، واجملها تصويرا ،واكملها تادية للمعنى ولا غرو فهي منبثقة عن التشبيه ، فللتشبيه اثر بليغ في تصوير المعنى والتاثير في النفوس ، أي: يرتفع بالكلام من ارض الحقيقة الى سماء الخيال ، ومن هنا كان الاثر ابلغ حينما تحذف الاداة، ويكون غاية البلاغة حينما تحذف الاداة ووجه الشبه [١] فالاستعارة لون من الوان التصوير في القران، وهي من الادوات المفضلة لديه ، فمن خلالها كان يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس ،تقريبا للمعنى الى ذهن السامع، واستثارة لخياله، واختلابا للبه، ليقنع بما يقال ويلقى في روعه ، فالألفاظ المستعارة الفاظ موحية لتكون اطارا لهذه الاستعارات ، لانها اصدق اداةً، تجعل القارئ يحس بالمعنى اكمل إحساس واوفاه، تصور المنظر للعين ،وتنقل الصورة للاذن ،فتثير في النفس إحساسا قويا بجمال النص[٢] ، وحسبنا ان نقف عند بعض الاستعارات ،للوقوف على التصوير الدقيق، والتاثير الانفعالي في النفس، وتادية المعنى المطلوب .

قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٣]، يصور الله تعالى استبداد فرعون وسيطرته على قومه من الاقباط وعلى بني إسرائيل ، فبعد ان ظهر الحق وصدقت نبوة موسى عليه السلام ، لم يؤمن لموسى الا ذرية من قومه ،والذرية تشير الى ان الذين امنوا كانوا من عنصر الشباب، وهي اشارة ذات مغزى ، فالشباب هم العنصر الفعال في حياة الدعوات وتاريخها[٤].

وقوله تعالى : (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) فقد استعمل (العلو) مستعارا للغلبة والاستبداد ،«أي :غالب قاهر متمكن بما فتناه به من طاعة الناس له »[٥]. فصورت لنا الاستعارة هنا استبداده وغلبته على قومه، اذ ان تلك الذرية قد آمنت

---

[١] ينظر :البلاغة العربية،البيان و البديع /٧٥.

[٢] ينظر :التعبير الفني في القرآن / ١٩٥.

[٣] يونس/٨٣.

[٤] ينظر :القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته/ ٢٥٥.

[٥] نظم الدرر ١٧٦/٧ ، وينظر التحرير والتنوير ٢٥٩/١١.

لموسى على خوف ليس من فرعون فحسب ، وانماعلى خوف من ملئهم ، أي: من ملأ هذه الذرية من بني اسرائيل ،لانهم كانوا مستضعفين وتعودوا الذل ، لذلك فهم يقفون في وجه الحق وان كانت لهذا الحق قدرة على دفع الظلم والذل عنهم ، وهم متيقنون من ذلك، ولكن يقفون مع الظلم ، وهم اشد خطرا من الظالمين انفسهم[١] ، فبمجرد ذكر هذه الآية وما احتوت عليه من تصوير لظلم فرعون، يستحضر الإنسان مشهد هذا الظلم الذي ذكر في آيات أخرى من القران الكريم بكل ابعاده ومشاهده ،لتكون الآية في غاية الوضوح والابانة ،مع الإيجاز الشديد.

وفي قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٢] ، تصوير لنعمة الله على بني إسرائيل، اذ أرسل موسى عليه السلام اليهم بالتوراة نورا يستضاء بها وهداية وهو المقصود من البعثة ،وهو واحد في حق جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو ان يسعوا في إخراج الخلق من ظلمات الضلالات الى أنوار الهدايات[٣]

وردت في الآية ثلاث استعارات لتصور المعنى ، فقد استعار (الظلمات) للتعبير عن الضلال والكفر والجهل ، واستعار (النور) للتعبير عن الهدى والايمان والعلم ، ((لعلاقة المشابه بين الضلال والظلمات ، فكما تغطي الظلمات الافاق فتحجب الاضواء والاشعاع ، كذلك يغطي الضلال القلوب فيحجب الهداية والرشاد، ويشبه النور بالهدى في مجال الإيمان، فكما ينتشر النور في الآفاق فيملؤها سناء وبهاء، فكذلك ينتشر الهدى في القلوب فيملؤها تقىً وايمانا))[٤] ، فتجد بذلك الدقة في اختيار الالفاظ المستعارة الموحية لاداء المعنى ، اذ عبر لفظا (الظلمات والنور) عن معناهما المستعار اكمل تعبير واكثر دقة مما لو استعملت لفظتا(الكفر والايمان).

و(الأيام) في قوله (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) المقصود بها: الأيام التي أقامها الله في الأرض للعبرة، مثل أيام الطوفان وعاد وثمود ولوط فهذه ايام حاسمة في حياة البشر

---

[١] ينظر: القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته /٢٥٥.

[٢] إبراهيم /٥.

[٣] ينظر : التفسير الكبير ٨٣/١٩.

[٤] ينظر: البلاغة العربية،البيان والبديع /٧٨.

، غيرت مجرى حياتهم ، فيجب علينا دائما ان نتذكرها ونتعظ بها ، اذ عبر بـ (الايام)عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها ، ففي الآية استعارة، اذ المعنى: عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، فالترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن امن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام ، والترهيب والوعيد: ان يذكرهم بعذاب الله وانتقامه ممن كذب الرسل ،ممن سلف من الامم فيما سلف من الأيام[١] «و(أيام الله) في حق موسى عليه السلام منها ما كان ايام المحنة والبلاء، وهي الايام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون ، ومنها ما كان ايام الراحة والنعماء، مثل انزال المن والسلوى ،وانفلاق البحر ، وتضليل الغمام » ،[٢] «فالايام اذن تذكرة لمن اراد التذكرة بالإنعام والانتقام»[٣].

وهكذا نجد التعبيرات الاستعارية للكلمات في الآية الكريمة قد عبرت عن المعنى الذهني والحالة النفسية، اكثر مما تعبر عنه التعبيرات الحقيقية ، من حيث المبالغة والاتساع في الكلام وتقريب المعنى الى ذهن السامع ، فأثارت في نفسه احساسا بجمال النص وصدقه مع الوضوح والابانة والإيجاز الشديد.

وجاء (أماما ورحمة) في قوله تعالى:﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٤]تعبير استعاريا فـ (الأمام) في حقيقته:الشئ الذي يجعله العامل مقياسا لعمل شيء اخر ، و يطلق اطلاقا شائعا على القدوة، لذلك استعير (الامام) لكتاب موسى، لانه يرشد الى ما يجب عمله، فهو كمن يرشد و يعظ ،و هذا هو حال الكتب السماوية، فهي خطاب للبشر في كل زمان و مكان ،و يجب الايمان بها ،و العمل بما جاء في القران الكريم لانه خاتم الكتب السماوية، و ناسخ لاحكامها .و(موسى) عليه السلام امام ايضا ،بمعنى :قدوة، اذ ان قومه يقتدون به في كل عمل يقوم به. [٥] اما كلمة (رَحْمَةً) فهي :اسم

---

[١] ينظر :من اسرار القرآن ، مصطفى محمود /٢١-٢٢.

[٢] التفسير الكبير ١٩/٨٤.

[٣] تلخيص البيان في مجازات القرآن،الشريف الرضي /١٢٥.

[٤] الأحقاف /١٢.

[٥] ينظر: التحرير و التنوير ٢٥/٢٤.

مصدر لكلمة(الراحم)،و هي من صفات الإنسان ،فهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن يتعدى اليه ، ووصف الكتاب بها استعارة ،لكونه سببا في نفع المتبعين والمطبقين، لما تضمنه من أسباب الخير و البشرى في الدنيا و الآخرة ، ووصف الكتاب بالمصدر مبالغة في الاستعارة [1] و موسى عليه السلام رحمة برسالته ،كما وصف النبي محمد ﷺ بذلك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[2] صورت الاستعارة هنا حقيقة إرسال الرسل الى البشر، اذ أن إرسالهم إكرام لبني البشر ،لكي يكونوا قدوة للناس، فهم قد جاءوا بالخير للبشرية، فعلى الناس ان يطبقوا ما جاءوا به ،و يقتدون بسيرتهم لان فيها سعادة الدنيا و الآخرة .

فالاستعارة هنا أضافت الصفات الحسية الى وصف الكتب السماوية، عن طريق تجسيم المعنى وتشخيصه ، وذلك من خلال بيان حقيقة ارسالها، فهي كمن يرشد ويعظ ويزجر، فكلامها خطاب للبشر في كل زمان ومكان ووصفه بالرحمة لكونه سببا في جلب رضا الله والفوز بالجنة، من خلال اتباع ما جاء فيه، والابتعاد عما نهى عنه.

وفي قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[3] ، وردت أربع استعارات لتجسيم المعنى المراد، وهو ان الله تعالى يقرر وحده المصدر والمنهج والاتجاه ،وحقيقة الأصل الواحد للأنبياء والرسل، والنشأة الضاربة في أصول الزمان.

الاستعارة الأولى جاءت في قوله (شرع) ،اصل (شرع): جعل طريقا واسعة ومعناها هنا :أوضح وبين لكم مسالك ما كلفكم به، « وكثر إطلاق كلمة (شرع) على سن القوانين والأديان، فَسمي الدين (شريعة)، فـ (شرع) هنا مستعار للتبيين»[4]. والاستعارة الأخرى في قوله تعالى (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا)، «المراد بـ (إقامة

---

[1] ينظر :المصدر نفسه ٢٥/٢٥.

[2] الأنبياء / ١٠٧.

[3] الشورى / ١٣.

[4] التحرير والتنوير ٤٩/٢٥.

الدين): اعلاؤه واعلان شعاره واعلاء مناره ،والدوام على اعتقاده، والثبات على العمل بواجباته»[١]، وفيه بيان لما وصى الله سبحانه أنبياءه عليهم السلام بان يقيموا الدين، ويحرصوا عليه، ويبلغوه اقوامهم، وان يكونوا جميعا على هذا الدين ، دين الله الذي ارتضاه لهم جميعا .[٢] والاستعارة الأخرى في قوله: (ولا تتفرقوا) ،و(التفرق) اصله: تباعد الذوات ،أي: اتساع المسافة بينها، ويستعار كثيرا لقوة الاختلاف في الاحوال والاراء ،وهو ضد التجمع ، فالمراد :لا تختلفوا على انبيائكم ،ويشمل التفرق بين الذين امنوا، بان يكونوا نحلا وأحزابا ،مما يؤدي الى اختلاف الامة في امور دينها ،فيكون لكل قوم دين، فهو نهي عن هذا التفرق، اذ ان دين الله واحد، وهو الاسلام، كما يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ،[٣] فالقرآن الكريم الكتاب المهيمن على الكتب السماوية كلها، والرسول محمد ﷺ هو خاتم الرسل.

وقوله :(كبر) بمعنى :صعب ،وقريب من اطلاق (ثقل) ، أي :عجزوا عن قبول ما تدعوهم إليه ،فهو تبكيت للمشركين، وازدراء بغرورهم ،«فـ (الكبر) هنا مجاز، استعير للشيء الذي لا تطمئن النفس لقبوله»[٤] ،فهي صورة دقيقة لحال الكفار، فهم كالذين يرفضون تناول الدواء من يد الرسول محمد ﷺ ،وفيه الشفاء من عللهم ويذهب باسقامهم ، فانفوا ان يستجيبوا لبشر مثلهم ، ورأوه مما ينزل بقدرهم وينال من مكانتهم.[٥]

فهذه الاستعارات مجتمعة جاءت لتوضيح المعاني كلها بايجاز شديد ووضوح تام ،بتاكيد الامر باقامة الدين والتمسك به والحرص عليه ، اذ ان هذه الاستعارات تضيف لمحة لطيفة في الوقع الى حس المؤمن ، وهو ينظر الى سلفه في الطريق الممتدة في اصول الزمان البعيد ، و يستشعر بأنه امتداد لهؤلاء الكرام :نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد (عليهم الصلاة و السلام) ، و انه على دربهم

---

[١] تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي /٢٧٤.

[٢] ينظر :التحرير والتنوير ٥٣/٢٥ ، التفسير القرآني للقرآن ٢٧/٥.

[٣] آل عمران /١٩.

[٤] التحرير والتنوير٥٤/٢٥.

[٥] ينظر :التفسير القرآني للقران ٣١/٥.

يسير ، فيجب عليه أن ينبذ التفرقة و الخلاف و الشقاق ، و ان يشعر بالقربى الوثيقة التي تدعو الى التعاون و التفاهم ووصل الحاضر بالماضي ، و الماضي بالحاضر و السير جملة في الطريق. [١]

وفي قوله تعالى ﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾[٢]، الاستعارة في (فَتَرْدَى) ،(((ردى) :هلك، و (الهلاك) مستعار لاسوأ الاحوال))[٣] ، (فتردى) اشارة الى ان من ترك المراقبة لحظة حاد عن الدليل ،و من حاد عن الدليل عرض نفسه للهلاك ،[٤] فالفطرة السليمة تؤمن من نفسها بان الحياة الدنيا لا تبلغ فيها الإنسانية كمالها ، و لا يتم فيها العدل تمامه ، و انه لا بد من حياة اخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان ، و العدل المطلق في الجزاء على الأعمال، فالتعبير الاستعاري يصور لنا الهوى و كأنه إنسان يمنع الآخر من الإيمان بالساعة فعرضه للهلاك ، و هذا الانسان الاخر هو النفس ، و ما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ، فعرضت صاحبها لاسوأ الاحوال، بترك مراقبتها، فابتعدت عن الحق وعن الايمان بان هذه الحياة دار عمل لاجزاء فيها، و ان الآخرة دار جزاء و ثواب لا عمل فيها . فهذه الاستعارة أوضحت بصورة جلية اثر الهوى في النفوس ،و ما يجره الهوى لهذه النفوس التي تتبعه،فيكون سبباً في التكذيب بالساعة، وتترك الاستعارة اثراً في النفس بتجسيدها للمعنى، و لا ننسى الدلالة الصوتية للفظة (تَرْدَى) ،فهي قوية و شديدة تناسب شدة المعنى، كل هذه العوامل ساهمت في التصوير الاستعاري الذي أعطى للهوى صفات الحياة ،عن طريق التشخيص ،ليعطي للصورة بعدا تخيليا و عمقا في المعنى و ايجازا في القول .

وفي قوله تعالى﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾[٥] ، جاءت الاستعارة في قوله (اشْرَحْ لِي صَدْرِي)، فحقيقة (الشرح):((تقطيع ظاهر شيء

---

[١] ينظر :في ظلال القرآن ٣١٤٧/٥.

[٢] طه / ١٦.

[٣] التحرير و التنوير ٢٠٣/١٦.

[٤] ينظر :نظم الدرر ٢٧٩/١٢.

[٥] طه / ٢٥-٢٦.

لين، و لكنه استعير هنا لإزالة ما في نفس الإنسان من ظواهر تكدره او توجب تردده في الإقدام على عمل ما، تشبيها بتشريح اللحم ،بجامع التوسعة))[١].

صورت الاستعارة إحساس موسى عليه السلام بالتكليف الذي كلف به ،فهو تكليف شاق ، فهو يعرف فرعون من هو، و شهد طغيانه و جبروته ،لذلك طلب الانشراح في صدره، الذي يحول مشقة التكليف الى متعة ، و يحيل عناءه لذة ، و يجعله دافعا للحياة، لا عبئا يثقل خطى الحياة ،فضلا عن انه يتسع لامتثال امر الله عز وجل، و يتقبله قبولا حسنا فلا يضيق به ، و لا يجد حرجا منه [٢].

و نجد الدقة في التعبير القرآني(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)، و لم يقل (اشرح صدري)، ليظهر ان منفعة ذلك الشرح عائدة الى موسى عليه السلام ،لا الى الله تعالى [٣]. فيكون هذا الدعاء لكل انسان يريد ضمان النجاح في حياته الدنيا، بتطبيق أوامر الله عز وجل و الابتعاد عن نواهيه، يطلب العون من الله عز وجل فيجد ان الله قد سهل أموره ،و ذلل كل الصعاب ،كما ذللها لأنبيائه و رسله و عباده الصالحين .

وفي قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٤] يؤكد الله عز وجل حقيقة ما ينزل بالإنسان من خير و شر، و يحل به من بلاء و عافية فهو من عنده، و ليس لاحد شيء في هذا الأمر كله ، و ان التشاؤم و التطير هو من عادة اهل الشرك.

و قوله (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ)بيان لواحدة من عادات العرب، اذ ان من عادة العرب انهم كانوا اذا اطلقوا طائرا فطار الى اليمين استبشروا به و سموه (سانحا)، و ان طار الى اليسار تشاءموا منه و سموه (بارحا)، فنسبوا الخير و الشر الى الطائر ، و عبروا عنه بـ (الطائر) إشارة إلى انه يتنزل من علو ، و استعير لما كان سببهما من قدر الله و قسمته، او من عمل العبد و نيته، اللذين هما

---

[١] التحرير و التنوير ٢١٠/١٦.

[٢] ينظر :في ظلال القرآن ٢٣٣٣/٤.

[٣] ينظر :التفسير الكبير ٤٦/٢٢.

[٤] الأعراف / ١٣١.

السبب في الرحمة و النعمة . فالاستعارة تصور لنا هذا (الطائر) بانه ليس الطائر البارح في السماء او السانح فيها ، و انما هو قضاء الله و قدره، ان شاء أرسله عليهم رزقا و خيرا ، و ان شاء ارسله نحسا و بلاء، فهو سببكم الذي يجيء منه خيركم و شركم ، فكل ما يقع للانسان مصدره واحد :انه امر الله بحسب نية الانسان و عمله و حركته و جهده، و بوضع هذه الأمور في موضعها الصحيح، [١] و ما يحذرونه من الضر و يرجونه من النفع انما ياتي من قبل الله تعالى ،فليستنزل النفع بطاعته ،و ليستصرف الضر بترك معصيته [٢].

وفي قوله تعالى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، تصور الايتان الكريمتان طبيعة بني إسرائيل المنحرفة المستعصية على التقويم ، ضعيفة الروح، «ما تكاد تهتدي حتى تضل ،وما تكاد ترتفع حتى تنحط ، وما تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس ...»، [٤] فبعد ان أنقذهم نبيهم ورسولهم موسى عليه السلام بسم الله الواحد، وأجتاز بهم البحر، مروا على اقوام وثنيين ،عاكفين على أصنام لهم، طلبوا من موسى ان يجعل لهم أصناما كما لهؤلاء، فما كان جواب موسى عليه السلام الا ان وصفهم بالجهالة ،أطلق اللفظ ليكون الجهل كاملا وشاملا فهذا القول لا ينبعث الا من الجهالة والحمق، وأنكر عليهم هذا الطلب وبكتهم، لان موسى ما دعاهم الا الى توحيد الله، فكيف يطلبون منه ان يصنع لهم الهة ؟ !!! وما دعاهم اليه فيه خير الدنيا والآخرة ، وبين لهم حال هؤلاء الذين يعبدون الاصنام، ليكشف لهم عن سوء المغبة فيما يطلبونه، وذلك بقوله : ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾، فـ «المتبر :المدمر، و(التبار): الهلاك »[٥] ، و(التبار) مستعار لفساد الحال، ويجوز انه مستعار لسوء

---

[١] ينظر: الكشاف ١٤٥/٢ ،والتفسير القرآني للقرآن ٤٦٤/٢-٤٦٥.

[٢] ينظر :تلخيص البيان في مجازات القرآن /٧٦.

[٣] الاعراف / ١٣٨-١٣٩.

(٤) في ظلال القرآن ١٣٦٦/٣.

[٥] التحرير والتنوير ٨٢/٩.

العاقبة ، أي :ان هؤلاء الكفرة مدمر ما هم فيه: ومضمحل كل ما يعملون من عبادتها والاخبات لها . وحياة تقوم على هذا الشرك، يتبعها انحراف عن الألوهية الواحدة ،من الفساد في التصورات والفساد في الحياة كل ذلك هالك، ينتظره ما ينتظر كل باطل من الهلاك والدمار،[1] فجاء التعبير الاستعاري ليصور لنا هذه المعاني بإيجاز شديد ووضوح تام .

وفي قوله تعالى:﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىلِأَخِيهِ هَارُونَاخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] ، جاء التعبير الاستعاري في تلك الكلمات التي قالها موسى لأخيه هارون(اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) وموسى يعلم ان هارون نبي مرسل من ربه معه ولكن المسلم للمسلم ناصح ، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم.

فهذه الكلمات كانت تحمل ما تحمل من هموم موسى وهو يقدر ثقل التبعة ، ويعرف طبيعة قومه بني اسرائيل ويعرف ما سيحدث منهم من إفساد وتخريب «فالأتباع أصله المشي على حلف ماش، وهو هنا مستعار للمشاركة في عمل المفسد»[3] ، فموسى عليه السلام يعلم ان في رعيته من المفسدين ،ويعلم ان هارون يتصف باللين في سياسته ،فنهاه عن سلوك طريق المفسدين ،«لان المفسدين قد يعملون عملا لا فساد فيه ، فنهي عن المشاركة في عمل من عرف بالفساد ، لان صدوره عن المعروف بالفساد كاف في توقع افضائه الى فساد»[4] .

فالتعبير الاستعاري يصور اثر الفساد في المجتمعات، وأنه يجب القضاء عليه، وذلك من خلال إسقاط قيمة المفسد في المجتمع ،وتجنب الاقتراب منه وعدم مخالطته ورفض مشاركته في أعماله، وان كانت تلك الأعمال لا فساد فيها.

---

[1] ينظر :المصدر نفسه ،الموضع نفسه.

[2] الأعراف/ ١٤٢.

[3] التحرير والتنوير ٨٨/٩.

[4] المصدر نفسه،الموضع نفسه.

وفي قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[1] ،نجد التعبير الاستعاري في كلمة (يقتتلان)، أي يختصمان و يتضاربان ضربا شديدا، وهو المعبر عنه بـ(التقاتل) ،[2] لتصور لنا المشهد الذي كان بين المصري والإسرائيلي، و لم يطق موسى صبرا على هذا الذي يراه بعينه، من إنسان يضرب إنسانا من شيعته ، وفضلا عن ذلك ترسم لنا الآية شخصية النبي موسى عليه السلام الذي هو نموذج للزعيم الشديد، و لا ادل على ذلك من وكزه القبطي و قضائه عليه، و لكن هذه الشدة سرعان ما تذهب ، فيعود الى نفسه، شان الأقوياء (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) [3]هذا ما نلاحظه في الأسلوب القصصي القرآني ،حيث الدقة في انتقاء الألفاظ ،أي: حسن اختيارها ووضعها في موضعها،و هو ما يسمى بـ (إصابة المعنى)[4].

وفي قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [5]تصوير رائع لنفس موسى عليه السلام ،فبعد أن حدث ما حدث بالأمس،يأتي التعبير القرآني (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) ليجمع الصبح و الخوف ،الصبح يبعث في النفس الانس و الامن و لكن موسى خائف يترقب و« (الترقب) :حقيقة :الانتظار ،و هو مشتق من (رقب) اذا نظر أحوال شيء ، ومنه سمي المكان المرتفع(مرقبة) و(مرتقبا) و هو هنا مستعار للحذر » [6]، فلفظة (يترقب) ترسم هيئة الحذر القلق الذي يتلفت و يتوقع الشر في كل لحظة بسبب خوفه ، و كانه يتطلع في وجوه الناس يتوقع منهم وقوع القصاص

---

[1] القصص /١٥.

[2] ينظر :التحرير و التنوير ١٢٥/٢٢.

[3] ينظر: روائع الإعجاز في القصص القرآني / ١١٩.

[4] ينظر :الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية / ٧٠

[5] القصص/ ١٨ .

[6] التحرير و التنوير ٨٩/٢٠ .

به،« والعبارة هنا تصور قيمة اللفظ المصور للفزع في موضع الامان، و تقديم كلمة (خائفا) على (يترقب) فيها ايحاء بمدى الفزع الذي استولى على موسى عليه السلام، فاعظم الخوف ما كان في مامن و مستقر» [١]

وفي قوله تعالى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ [٢] ، طلب موسى عليه السلام من الله تعالى ان يحل عقدة من لسانه، ليفقهوا قوله ،خشية التلعثم ،«وقد روي انه كانت بلسانه حبسة ،والأرجح ان هذا هو الذي عناه، ويؤيده ما ورد في سورة اخرى من قوله ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ﴾ [٣] ، ومعنى (العقدة)حقيقة: موضع ربط الخيط ببعضه[٤]، وعبر به في الآية الكريمة عن: الحبسة ،وهي :عسر النطق بالكلام او ببعض الحروف ،على وجه الاستعارة، لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة.

فنجد التعبير الاستعاري قد جسد المعنى في صورة حسية عن طريق التشخيص الذي يجعل الجمادات كأنها كائنات حية، لها طباع تشبه الطباع الانسانية، «واستعار لازالتها فعل الحل المناسب للعقدة، ما لا يحتمل غير ملاءمة بين النظام ومناسبة بين الكلام»[٥] .

وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[٦] تعبير قراني فيه روعة التصوير، يشخص الغضب ، فكانما هو كائن حي «له صوت مسموع يهتف بموسى ان اغضب »[٧] ،ويلح عليه باتخاذ موقف المنتقم، يدفعه ويحركه «لانه لما كان بفورته

---

[١] الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية / ٧١

[٢] طه /٢٧.

[٣] القصص /٣٤.

[٤] ينظر :التحرير والتنوير ٢١١/١٦.

[٥] نظم الدرر ٢٨٤/١٢.

[٦] الأعراف /١٥٤.

[٧] التفسير القرآني للقران ٤٨٩/٢١.

دالا على ما في النفس من المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك»[١] ، واستخدام لفظة (سكت) في هذا الموضع احسن من (سكن) ، لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة لاخيه مع سكون غضبه، فلما زال صار كانه سكت، و(السكوت) هو :الامساك عن الكلام وتسكين الة الكلام.[٢]

فهذه الاستعارة صورت لنا بدقة اثر الغضب في نفس الانسان، فاضفت عليه الحياة عن طريق التشخيص الموجود في الاية ليعطي الصورة بعدا تخيليا وعمقا في المعنى يجعلنا نعيش هذه الصورة وكانها ماثلة امامنا،و«يا له من تصوير لطيف يستشعر بجماله كل ذي طبع سليم وذوق سليم»[٣].

وفي الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٤]، يوضح الله تعالى حال بني إسرائيل، وانحدار الفكر لديهم، وجحودهم للنعمة، ومجانبتهم للعلو، ورغبتهم في التدني وتخيرهم لما هو اقل شأنا ونفعا، ذلك وصفهم الذي لا يفارقهم ابدا ،«شبه الدوام واللزوم بالضرب، بجامع الاحاطة والبقاء»[٥] ، أي :انها ملازمة لهم محيطة بهم باطنا وظاهرا ومن جميع الجهات ،«وتجسيمها بفعل الضرب يوحي بظهورها للعيان وكانها خيمة تضرب عليهم ،والكلمة توحي بالعنف المناسب ،وكأن الذلة والمسكنة اداة يضرب بها هؤلاء اليهود ضربا»[٦] .

فصورت الاستعارة العقاب الطبيعي لهذا الغرور والعناد والجحود للنعم المستولي عليهم ، بان قتل الله فيهم كل معاني الانسانية الكريمة ، وأمات في نفوسهم

---

[١] التبيان في تفسير القرآن،الطوسي ٣/٤٨٧.

[٢] ينظر :المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[٣] صفوة التفاسير ٤/٥١.

[٤] البقرة /٦١.

[٥] البلاغة فنونها وافنانها ٢/١٨٥.

[٦] جماليات المفردة القرآنية ،د.احمد باسوف /١٠٥.

كل معالم العز والكبرياء والقوة والرجولة.[١] «وفي (الضرب) ما ينبئ عن الاذلال والنقص، وفي ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم »[٢] ، لترسم لنا ما تشتمل عليه هذه النفوس من الذلة والمسكنة ،ولزوم هذه الصفات لها فلا تغادرها ، لان النفوس التي نشات على العبودية والذل لا يمكن تغييرها وتقويمها ابدا.

وفي قوله تعالى :﴿ وَنَزَعَ يدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [٣] ، جاء التعبير الاستعاري (ونزع) ليصور لنا سرعة اخراج اليد، وكانه أنتزعها من موضع استقرارها.وهذه الصورة مألوفة لدى العرب، ومأخوذة من قولهم « (ونزع السهم) اذا ابعد مرماه، فكأنه اخرج يده مبالغا في بسطها واظهارها لتتمكن العيون من رؤيتها، فبعدت المسافة بينها وبين اختها»[٤]، فصورت الاستعارة المعنى تصويرا واضحا تاما ماثلا للعيان.

وفي قوله تعالى ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[٥] ، تصور الامر العلوي لموسى عليه السلام بضم اليد الى الجناح ،«و(الجناح) في هذا الموضع :من اسفل العضد الى الابط»[٦] ،واطلق عليه (الجناح) تشبيها له بجناح الطائر[٧] لانه يجنحهما عند الطيران [٨] ،«و(الجناح)- بالفتح- مستعار للجانب»[٩] ،أي: «وادخل يدك في قميصك مما يلي أحد جهتي يديك ،و سميت تلك الجهتان جناحين لأنهما في موضع الجناحين من الطائر » [١٠] ،فالتعبير الاستعاري اختار جناح الطائر لاحد جهتي يد الانسان ،لما لصورة الجناح من رفرفة و طلاقة و

---

[١] التفسير القرآني للقران ٩٠/١.

[٢] النكت في إعجاز القران،ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن / ٨٣-٨٤.

[٣] الأعراف /١٠٨.

[٤] تلخيص البيان في مجازات القران/٧٥.

[٥] طه/٢٢.

[٦] معاني القران، الفراء /١٧٨.

[٧] ينظر: التحرير والتنوير ٢٨/١٦.

[٨] ينظر: التفسير الكبير ٣٠/٢٢.

[٩] قاموس قراني معجم دقيق للالفاظ،حسن محمد موسى /٩٠.

[١٠] تلخيص البيان في مجازات القران / ١٧٥.

خفة في هذا الموقف المجنح الطليق من ربقة الارض و ثقلة الجسم، لتخرج بيضاء، لا عن مرض او افة ،و لكن معجزة اخرى مع معجزة العصا . [١] فجاءت الاستعارة على سياق الاستعارة المتمثلة بصورة محسوسة، مستندة في تصويرها على مشهد قد الفته العرب: صورة الطير الذي يرفرف بطلاقة و خفة ليريهم معجزة من معجزات الله .

وفي الآيتين الكريمتين﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[٢] ، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[٣].

وردت ثلاث استعارات لتصور لنا رعاية الله تعالى للنبي موسى عليه السلام ونعمه عليه .

الاستعارة الاولى تتمثل بالقاء المحبة عليه ، ليس المراد ان هناك شيئا قد القي في الحقيقة ،«وانما القاء المحبة مجاز في تعلق المحبة به ، أي: خلق المحبة في قلب المحب بدون سبب عادي »[٤].

أي: ان الله تعالى احبه حبا عظيما و حببه الى كل من رآه [٥] من ذوي القلوب السليمة ،«كقول القائل (على وجه فلان قبول) ، وليس هناك على الحقيقة شيء يومئ اليه، الا ان كل ناظر ينظر اليه يقبله قلبه وتسر به نفسه»[٦].

والاستعارة الاخرى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ التي أفادت الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة .ولما كان الحافظ للشيء في الاغلب يديم مراعاته بعينه ، جاء تعالى باسم (العين) بدلا من ذكر (الحفظ والحراسة) على طريق المجاز والاستعارة[٧] ، «ويقال: (عين الله عليك) اذا دعا لك بالحفظ والحياطة»[٨].

---

[١] ينظر: في ظلال القران ٢٣٣٣/٤.

[٢] طه /٣٩.

[٣] طه /٤١.

[٤] التحرير والتنوير ٢١٧/١٦.

[٥] ينظر :معاني القرآن /١٧٩.

[٦] المعاني الثانية في الاسلوب القرآني، د.فتحي أحمد عامر /٤١٦.

[٧] ينظر : المصدر نفسه،الموضع نفسه .

[٨] التفسير الكبير ٥٤/٢٢.

وفي قوله تعالى ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ استعارة اخرى لتصور لنا منزلة النبي موسى عليه السلام عند الله تعالى وكرامته، اذ جعله خالصا مستخلصا له ولرسالته ودعوته ،«ليس بك شيء من هذه الدنيا ولا لهذه الدنيا، إنما أنت للمهمة التي صنعتك على عيني لها واصطنعتك لتؤديها »[1] و «نجد وراء الاستعارة الاختصاص لتبليغ الرسالة والانصراف على إرادة الله ومحبته، وجاز ان يوقع النفس موقع المحبة لان المحبة أخص شيء بالنفس»[2].

فالتعبير الاستعاري في الآيتين الكريمتين صورت لنا منزلة النبي موسى عليه السلام وكرامته بان حصل على محبة الله ورعايته، فتلك المحبة والرعاية والصناعة تصورها الاستعارة كأنها درع تتكسر عليه جميع قوى الشر والطغيان، ولا تستطيع ان تمس صاحبها بسوء ، فتلك الرعاية والصناعة تجعل الإنسان أهلا لهذه المهمة العظيمة .

من خلال هذه الجولة السريعة في الآيات الكريمة التي احتوت على الاستعارة، نجد ان الاستعارة من افضل السبل التي تعمل على خلق صور تجعل المعقول محسوسا ،فهي تقوم على الاستدلال والتشابه، فتعمل على إثارة عواطف السامع، لان الحقائق مجردة ، والتعبير الاستعاري في القران يشخصها وجسدها ،ليعطيها روعة التعبير ،ودقته ،وبلاغة الايجاز.

المجاز العقلي:

هو: إسناد الفعل او ما في معناه الى غير ما هو له في الظاهر، لعلاقة ما مع قرينة تمنع من إرادة الإسناد الى ما هو له[3] ، فهو يكون في الاسناد

---

[1] في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٥.

[2] المعاني الثانية في الاسلوب القرآني/٤١٧.

[3] ينظر :علم اساليب البيان د.غازي يموت/٢٥٥.

او التركيب [١] ،«وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ،ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض »[٢] ،«وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ،ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان والاتساع في طرق البيان ، وان تجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا، وان يضعه بعيد المرام قريبا من الافهام »[٣] ، وسمي عقليا لان المجاز فهم من العقل لا من اللغة، أي يدرك بالقدرة العقلية الفكرية لا بحقيقة دلالة اللفظة [٤] ،ويعد المجاز العقلي من اساليب البلاغة العربية التي وسعت مجالات التعبير والابداع، واضفت على اللغة طابع الجمال [٥] ، وللمجاز العقلي دور كبير في رسم الصور التي يراد توضيحها، وذلك من خلال تشخيصها، واسناد الفعل الى غير فاعله، بحيث يجعل انتباه المتلقي يتجه الى الفعل فقط، وهذا بالنتيجة يؤدي الى الايجاز في القول، ومن امثلته في ايات النبي موسى عليه السلام قوله تعالى ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[٦] ، فالاية الكريمة تصور لنا مشهد القاء السحرة سحرهم امام موسى عليه السلام وما فوجئ به من مظهر السحر البارع الذي يرهب ويخيف، فقوله (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) أي: انهم سحروا اعين الناس واستدعوا رهبتهم [٧] ، جعلوا اعينهم متأثرة بالسحر بما القوا من التخيلات والشعوذة، اذ خيلوا لهم ان الوادي قد أمتلأ بثعابين وحيات يموج بعضها ببعض ،«ولفظ (استرهب) ذاته لفظ مصور ، فهم استجاشوا احساس الرهبة في الناس وقسروهم عليه قسرا»[٨] ،وتعدية الفعل (سحروا) الى (اعين) مجاز عقلي لان الاعين الة ايصال التخيلات الى الادراك، وهم انما سحروا العقول، ولذلك لو قيل (سحروا الناس)

---

[١] ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣٦/٢ ،و معجم المصطلحات البلاغية ١٩٩/٣-٣١٣.

[٢] دلائل الإعجاز /٢٢٨.

[٣] المصدر نفسه،الموضع نفسه.

[٤] ينظر :جواهر البلاغة /٢٩٦.

[٥] ينظر :علم اساليب البيان /٢١٢.

[٦] الاعراف /١١٦.

[٧] ينظر :الكشاف ١٤٠/٢.

[٨] في ظلال القران ١٣٤٩/٣.

لافادت، ذلك ولكن تفوت نكتة التنبيه على ان الساحر عبارة عن تخيلات مرئية ،وتمويه للعقول وخدع للابصار وليس نقلا عن حقيقتها وطبيعتها [١] .

والآية الكريمة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٢] تصور نفسية الذل والهوان التي ترسخت في نفوس بني إسرائيل، فبعد ان رزقهم الله المن والسلوى تنزل عليهم من السماء بقدرة الله تعالى، تأبى نفوسهم هذه الكرامة والنعمة، فيطلبون من نبيهم ومنقذهم ان يدعو ربه بان يستبدل لهم هذه النعم التي تتنزل من السماء ،بنعم تخرج من الارض، ليدلل الله تعالى على خسة نفوسهم وتعودهم الذل والمهانة والدناءة، فأستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى مناسب لهم. فالمجاز العقلي في قوله تعالى (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) أي: مما تخرجه الارض من البقول والحبوب فالمنبت الحقيقي هو الله تعالى ، ولكن الارض سبب من أسباب الأنبات لذلك اسند اليها.[٣] فقد جعل سبحانه الارض هنا فاعلا وهي جماد. وهكذا جاء التعبير المجازي ليصور خبايا هذه النفوس المنحطة المهانة التي رضيت بالذل والاستضعاف ،وجانبت العلو، ورغبت في التدني .

وفي قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] اسند فعل التبوء [٥] الى موسى وهارون عليهما السلام على طريقة المجاز العقلي، وفاعل هذا الفعل في

---

[١] ينظر:التحرير والتنوير ٤٨/٩، والكنايات القرآنية، يونس الشيخ أبراهيم السامرائي/٣٥.

[٤] البقرة /٦١ .

[٣] ينظر: صفوة التفاسير ٤٩/١.

[٤] يونس /٨٧.

[٥] (التبوء):اتخاذ مكان يسكنه، وهو (تفعل) من (البوء) أي: الرجوع كأن صاحب المسكن يكلف نفسه الرجوع الى محل سكنه.

الاصل هو الساكن بالمباءة، واسند اليهما اذ كانا سبب تبوء قومهما للبيوت، اذ خاطب الله موسى وهارون عليهما السلام بالنبوة والاختيار ، وذلك مما يفوض الى الانبياء . ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد واقامة الصلاة، لان ذلك واجب على الجمهور . ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض، تعظيما له وتفخيما لامره، ولانه الرسول على الحقيقة.[١] والقرينة قوله (لقومكما) اذ جعل التبوء لاجل القوم [٢] . وجاء الوحي بهذا الامر الى موسى وهارون عليهما السلام، لانه من الاعمال الراجعة الى تدبير أمر الامة فيمكن الاشتراك فيها بين الرسول ومؤازريه.[٣].فنجد للمجاز اثره في التوضيح والايجاز في المعاني التي انطوت عليها الاية، فضلا عن توكيد الفعل .

والآية الكريمة﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[٤] ، تصور فعلة تفوق ما قبلها شناعة وانحرافا وعتوا ، تكشف خبايا نفوس تعودت الالتواء والانتكاس كلما فتر عنها التوجيه والتسديد. فبعد مغيب موسى عليه السلام عنهم وتركه هارون عليه السلام خليفة له فيهم،صنع السامري عجلاً جسدا من ذهب كانوا قد سرقوه من المصريين، وجعله يصوت كصوت الخوار، و لا حياة فيه و لا روح، فهو جسد، ولفظ (الجسد) يطلق على الجسم الذي لا حياة فيه، فما كادوا يرون عجلا من ذهب يسمعون له خواراً حتى نسوا ربهم الذي انقذهم من ارض الذل، وعكفوا على عجل الذهب[٥] .المجاز العقلي في قوله (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى) اذ اسند الاتخاذ الى قوم موسى كلهم، على طريقة المجاز العقلي، ولم يتخذه كلهم، وهذا مجاز شائع في كلام العرب[٦] ،فقد كان فيهم هارون وبعض عقلائهم،ولكنهم لم يملكوا زمام الجماهير الضالة المتدافعة على

---

[١] ينظر : البلاغة الاصطلاحية /٣٤٤.

[٢] ينظر :التحرير والتنوير ٢٦٥/١١.

[٣] ينظر : المصدر نفسه٢٦٤/١١.

[٤] الاعراف /١٤٨.

[٥] ينظر :في ظلال القرآن ٢٣٤٨/٤.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير ١٠٩/٩.

العجل الجسد، فلم يستطيعوا ردهم عن هذه الفعلة . المزرية بالبشر وفي هذا تعريض بمشركي مكة عبدة الأصنام [١] ، فجاء التصوير عن طريق المجاز العقلي من اجل بيان شدة ظلم هؤلاء القوم لانفسهم،باتخاذهم عجلا إلها لهم، وهم الذين عاينوا ايات الله ، وعاشوا بايام الله وأستمتعوا بنعمه التي انعمها عليهم بعد الشدة، ومع ذلك تنحرف نفوسهم وتبتعد عن جادة الحق، « وهل اظلم ممن يعبد خلقا من صنع ايدي البشر ، والله خلقهم وما يصنعون ؟!»[٢] لذلك نجد المجاز العقلي قد صور بوضوح طبيعة هذه النفوس التي لا تحكم عقلها في افعالها، و لاتأخذ العبرة من الزلات التي وقعت فيها وانما تعالج الزلة بزلات افضع .

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [٣] ، اسناد التصديق الى هارون مجاز عقلي، لانه سببه، والمصدقون في الحقيقة هم الذين يحصل لهم العلم بان موسى صادق فيما جاء به، [٤] فليس الغرض بتصديق هارون ان يقول له: (صدقت)، اويقول

للناس: (صدق موسى)، وانما هو ان يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ، ويجيب عن الشبهات، ويجادل به الكفار، وهو التصديق المفيد[٥] .

هكذا تظهر قيمة المجاز من خلال تنوع دلالة التركيب، لانها تنقل اللفظة من معنى الى اخر،وتعطي النص قوة تعبيرية .

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن ١٣٧٣/٣

[٢] المصدر نفسه،الموضع نفسه.

[٣] القصص /٣٤.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير ١١٦/٢٠.

[٥] ينظر :التفسير الكبير ٢٤٩/٢٤.

المبحث الثالث

الكناية

الكناية في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي (كنى،يكني)، وتعني: ان نتكلم بالشيء ونريد غيره [١] .

اما في الاصطلاح فهي: «ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومىء به اليه، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد)، فالمراد به: طويل القامة ، وكذلك قولهم: (كثير رماد القدر) أي: كثير القرى ، وقالوا في المرأة المترفة: (نؤوم الضحى) أي مخدومة لها من يكفيها امرها »[٢] ، وزادها الجرجاني تعريفاً بقوله :«والكناية اذا نظرت اليها وجدت حقيقتها ومحصول امرها انها اثبات لمعنى، انت تعرف ذلك المعنى من طرق المعقول دون طريق اللفظ »[٣] ،وقال السكاكي في حدها «وهي ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك » [٤] .

«والكناية ابلغ من التصريح، وليس معنى هذا انك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى انك زدت في اثباته، فجعلته ابلغ واكد واشد ، فليست المزية في قولهم : (جم الرماد) انه دل على قرى اكثر، بل انك اثبت له القرى الكثير من

وجه هو ابلغ، واوجبته ايجابا هو اشد، وادعيته دعوى انت بها انطق وبصحتها اوثق»[٥].

---

[١] ينظر :لسان العرب (كنى).

[٢] دلائل الإعجاز /٦٦.

[٣] المصدر نفسه /٣١٦.

[٤] مفتاح العلوم /٦٣٧.

[٥] دلائل الإعجاز/٥٦.

يعد اسلوب الكناية اكثر الاساليب البيانية دقة وخفاء، توخاها العرب استكثارا للالفاظ التي تؤدي ما يقصدون من المعاني، محاولين اخفاء المعنى الصريح، ذلك الاخفاء الذي يجنبهم ما يخشون التصريح به، وبها يزينون ضروب التعبير، ويكثرون من وجوه الدلالة [١] ، فهي من اساليب البيان التي لا يقوى عليها الا كل بليغ متمرس بفن القول، اذ تحتاج الى اللمحة الذكية، والغوص على المعنى، والمجيء باللفظ الذي يمكن ان يدل عليه، دون تكلف او تصنع.[٢] وتتميز بالجمع بين الحقيقة والمجاز، ذلك ان حدودها المعرفية تعتمد على ترك التصريح بذكر الشيء، الى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور الى المتروك، واستهداف اللازم لا يمنع من ارادة المعنى الاصلي معه، أي: ان المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق.[٣]

والمتكلم بهذا الاسلوب يحيد عن المباشرة والتصريح بما يريد ان يقول، ويسوق تعبيرا ظليلا يحرك الفكر ويبعث على التأمل ، وتلك سمة من السمات الفنية في التعبير اللغوي، تبعده عن الرتابة التي تنشأ من طول استخدام الالفاظ في معان محدودة [٤] ، لذلك تعد الكناية عند العرب من البراعة والبلاغة، وهي عندهم ابلغ من التصريح واجمل .[٥]

ومن امثلتها في ايات النبي موسى عليه السلام وردت في سياق بيان توبة بني اسرائيل بعد عبادتهم للعجل قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٦] ، فالكناية هنا في قوله تعالى (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: ليقتل البريء منكم المجرم[٧]، فكنى عن المجرمين بالنفس[٨]، لتصور الكناية شناعة جريمتهم، ليكون قتل بعضهم بعضا سببا لقبول التوبة من نفوس،

---

[١] ينظر: علوم البلاغة /٢١٩.

[٢] ينظر: البلاغة فنونها وافنانها ٢/٢٤٤.

[٣] ينظر :البلاغة العربية قراءة اخرى ،د.محمد عبد المطلب/١٨٦.

[٤] ينظر :التعبير البياني ، شفيع السيد /١٨٧.

[٥] ينظر :البرهان في علوم القرآن ٢/٣٠١.

[٦] البقرة /٥٤.

[٧] ينظر : الكشاف ١/١٤٠ ،وتفسير الجلالين /١١ .

[٨] ينظر :أساليب المجاز في القرآن / ٢٢٦ .

اتصفت بالذلة والمهانة،ورفضت الترفع والعلو. وبذلك استطاعت الكناية ان تصور المعنى قويا مؤثرا .في قوله تعالى﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [١] وردت ثلاث كنايات في الاية الكريمة، لتشيع جوا من السكينة في قلب موسى عليه السلام وتمسك نفسه التي تكاد تذهب في ذلك الموقف الذي اهتزت له، فكان صوت الله تعالى مناديا لموسى باسمه، وفي هذا تطمين له، لانه انما ينادى ممن يعرفه ويعرف احواله ، اذن فلا خوف عليه، ليكشف لعبده ان الذي يناديه هو الله العزيز الحكيم الذي لا يغلبه ولا يستصعب عليه شيء[٢] .

والضمير في (انه) : ضمير الشأن، وهو كناية عن الامر والشأن [٣] ، «وجملة (انا الله العزيز الحكيم) :خبر عن ضمير الشأن ، والمعنى اعلامه بان امرا مهما يجب علمه وهو ان الله عزيز حكيم »[٤] قوي قادر على ما يبعد من الاوهام، كقلب العصا حية والفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير[٥].

وقدم هذا الامر لاحداث رباطة جأش لموسى، وليعلم انه قد خلعت عليه النبوة، اذ القي اليه الوحي، وليعلم انه سيتعرض لاذى ومحن وان الله يؤيده وينصره على كل قوي ، وليعلم ان ما شاهده من النار، وما تلقاه من الوحي، وما سيشاهده من قلب العصا حية، ليس بعجيب من جانب الله[٦] ،فكانت الكناية دليلا على قدرة الله تعالى وتدبيره وحكمته، كل هذه المعاني حققها التعبير الكنائي في الآية .

وفي الآية الكريمة ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٧] ، جاء قوله (إِنِّي لا

---

[١] النمل /٨ – ٩ .

[٢] ينظر :التحرير والتنوير ٢٢٧/١٩، والتفسير القرآني للقرآن ٢١٦/٤.

[٣] ينظر :الجامع لاحكام القرآن ١٦٠/١٣.

[٤] التحرير والتنوير ٢٢٧/١٩.

[٥] ينظر :الكشاف ٣٥٠/٣

[٦] ينظر :التحرير والتنوير ٢٢٧/١٩ .

[٧] النمل /١٠.

يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ)كناية عن تشريفه بمرتبة الرسالة ، فهو نهي له عن الخوف وتحقيق لما يتضمنه من انتفاء موجبه، وتعليم لموسى أن يتخلق بخلق المرسلين، من رباطة الجأش ، اذ ان المرسلين لا يخافون لدى الله تعالى ،فقوله (لدي) أي: في حضرتي حين يتلقى رسالتي[1]، فهذا التعبير الكنائي اشاع جوا من الطمأنينة والبشرى في نفس موسى عليه السلام ، اذ اختاره الله لهذه المرتبة السماوية العظيمة ، وصور مشهد اعداد موسى عليه السلام وتجهيزه وتقويته لحمل الرسالة السماوية العظيمة الى اكبر الطغاة في الارض في ذلك الحين، اذ امره الله تعالى بالقاء العصا، فاذا هي حية تدب وتسعى[2] ، فما كان من موسى، بعد ان رأى ما رأى من تلك العصا، الا ان ينطلق مسرعا فاعطاها ظهره (وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ) ، فكنى عن الفرار بتولية الدبر. وقوله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) أي: لم يرجع ، يقال:(عقب المقاتل) اذا كر بعد الفرار، تاكيد لشدة توليه، أي ولى توليا لا تردد فيه[3] ، فكنى عن الفرار والانهزام بتولية الدبر ، ليصور هول المفاجأة واثرها في نفسه، اذ لم يتراجع قليلا الى الوراء حتى يتبين الامر ، وانما اخذ في الفرار على عادة البشر في نحو ذلك الموقف.فالتعابير الكنائية في الاية صورت بعمق طبيعة موسى عليه السلام الانفعالية، اذ انه جرى بعيدا عن الحية دون ان يفكر بالرجوع، وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال، وهذا ما لم نكن لنجده لو جاء التعبير صريحا.

والآية الكريمة﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[4] توضح دعوة موسى عليه السلام قومه الى نعمة جديدة، وهو لم يدعهم الا لما فيه خير عاجل لهم ، وهو ان يخرجوا من الصحراء، و ان ينتقلوا من حياة الرعي و الخيام الى حياة المدنية و الاستقرار ... فهو لم يدعهم الا الى الارض المقدسة، فهي مكتوبة لهم بوعد الله، فهو لم يدعهم الا ليمدوا ايديهم الى ما وعدهم الله به، و لكنهم لم يتقبلوا دعوة موسى عليه السلام، وموسى يعرف

---

[1] ينظر :التحرير والتنوير ٢٢٩/١٩.

[2] ينظر:التفسير القرآني للقرآن ٢١٦/٤.

[3] ينظر :الكشاف ٣٥٠/٣.

[4] المائدة /٢١.

طبيعة قومه، و ما تنطوي عليه نفوسهم من خبث و فساد ، لذلك حذرهم ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾أي: فتنقلبوا خاسرين لثواب الدارين، مصورا لهم الفتور عن الطاعة بما يستحيي من له همة من ذكره ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ﴾كنى عن التولي و الاعراض عن الهدى و الرشد و الحق بالأدبار [١] أي: لا تولوا عن دينكم ولا تشكوا بعد يقينكم، كالمتقهقر الراجع و المتقاعس الناكص [٢] « و في التعبير بـ(ارتداد القوم على ادبارهم) اشارة الى انهم انما يرتدون الى الوراء و عيونهم معلقة بالمتجه الذي تتجه اليه الدعوة ، و كان هذا المتجه حيوان مفترس يتحفز للوثوب عليهم ، فهم يسيرون الى الوراء ، على اقفيتهم وابصارهم شاخصة الى هذا الامر المخيف الذي دعاهم اليه، فهم و الحال كذلك . بين خطر يقع عليهم من تصوراتهم لهذا الامر الذي يدعون اليه، و خطر يترصدهم و هم يتدافعون الى الوراء نحو مجهول لا يرون لهم منه مهربا »[٣]. والتعبير القراني عندما جمع بين الامر و النهي خوفهم عواقب العصيان، معلما بان ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك [٤] فالتعبير الكنائي استطاع ان يصور لنا المعنى تصويرا صادقا محسوسا .و في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ [٥] الكناية في قوله (جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) اذ كنى بـ (القدر) عن العناية بتدبير اجراء احوال موسى عليه السلام الى ان بلغ الموضع الذي كلمه الله فيه « في الوقت المقدر عندما نضج و استعد ، و ابتلي فثبت و صبر ، و امتحن فجاز الامتحان ، و تهيأت الظروف كذلك و الأحوال في مصر ، و بلغ العذاب ببني إسرائيل مداه » [٦] ، فهو مقدر في علم الله ، انك تجيء فيه غير مستقدم و لا

---

[١] ينظر :أساليب المجاز في القرآن الكريم / ٢٤٦ .

[٢] ينظر :تلخيص البيان في مجازات القرآن /٥٥ .

[٣] التفسير القرآني للقرآن ٢٣٧/٥.

[٤] ينظر: نظم الدرر ٧٥/٦.

[٥] طه / ٤٠.

[٦] في ظلال القرآن ٢٣٣٥/٤.

مستاخر [١]. فهذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب و التكريم و التكليم ، مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك، لجوامع خصال فيه و خصائص، أهلا لئلا يكون أحد اقرب منه أليه، فيصطنعه بالكرامة و الاثرة ويستخلصه نفسه [٢] ، وبذلك حققت الصورة الكنائية تكثيفا للمعنى، واثباتا لتدبير الله ولقدرته تعالى، على احسن تصوير .في قوله تعالى﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] جاءت الكناية في قوله تعالى (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون لبني اسرائيل ، بان الارض لله، يجعلها ميراثا لمن يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ففي الكناية ايحاءات نفسية قصد منها صرف اليأس عن قومه الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وجبروته وسلطانه ، ويوضح لهم ان كلما يملكه فرعون،ما في الارض جميعا، هو لله الواحد، لا مالك غيره ولامعبود سواه ، وان الله خوله ذلك السلطان،وأنه قادرعلى ان ينزعه منه ، فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها، وهو الذي يقدر نزعه .[٤]

التعبير الكنائي في الاية صور قدرة الله المطلقة، وان الإنسان عليه ان يستعين بالله، اذ ان الاستعانة بالله تمد الإنسان بطاقات من الصبر، اذ بواسطته
يستطيع الإنسان ان يخفف عن نفسه صعوبات الحياة، من ظلم وقهر واستبداد
، وهذه الاستعانة تجعله متيقناً بان الظلم لا يدوم وان طال امده فلا بد ان يأتي يوم ويقضى عليه ، فقدرة الله مطلقة، لا يفوتها شيء ولا يعجزها امر. والآية الكريمة ﴿وَقَالتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[٥] تتحدث عما دار بين فرعون و امرأته بشأن الطفل الذي التقطه ال فرعون من اليم ، « ويدل الكلام على ان الذين انتشلوه جعلوه بين ايدي

---

[١] ينظر الكشاف ٦٥/٣ ،والتفسير الكبير ٥٦/٢٢ ،وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،الشنقيطي ٤١٢/٤

[٢] ينظر :الكشاف ٦٥/٣ .

[٣] الاعراف /١٢٨.

[٤] ينظر التحرير والتنوير٩/٦٠.

[٥] القصص /٩.

فرعون وامرأته فرقت له امرأة فرعون وصرفت فرعون عن قتله »[1] ،فقولها (قُرَّتُ عَيْنٍ) كناية عن السرور، «وهي كناية ناشئة عن ضدها وهو (سخنة العين)، التي هي اثر البكاء اللازم للاسف والحزن، فلما كني عن الحزن بـ (سخنة العين) في قولهم في الدعاء بالسوء: (اسخن الله عينه)، اتبعوا ذلك بان كنوا عن السرور بضد هذه الكناية، فقالوا: (قرة عين) ،(فاقر الله عينه)، فحكى القران ما في لغة امرأة فرعون من دلالة معنى المسرة الحاصلة للنفس ببليغ ما كنى به العرب عن ذلك، وهو(قرة عين) »[2] ، ومن لطائف الاية اذ المسرة المعنية هي مسرة حاصلة من مراى محاسن الطفل، كما قال تعالى﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾[3] .[4]

وقوله تعالى ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [5] ، كنى عن السوء بالمرض، وهو البرص.[6] أي: انها تخرج بيضاء لامعة مشعة، من غير مرض قد اصابها، وانما معجزة ثانية على صدق دعوتك والرسالة التي خلقت من اجلها الى فرعون وقومه، انهم كانوا قوما فاسقين.

فجاءت الكناية هنا لتصور هذه المعجزة تصويرا محسوسا، اذ ان هذه اليد أصبحت يدا غير اعتيادية، بيضاء بياضا ناصعا اشبه ببياض البرص، ولكنها يضاء ترجع الى طبيعتها الاولى بمجرد إدخالها الى جيبه، فهذه معجزات عظيمة لا يستطيع السحرة ان يقوموا بها مهما حاولوا، وتجعل الإنسان العاقل يؤمن بصدق الدعوة والرسالة التي جاء بها انسان معه مثل هذه المعجزات الناطقة.

---

[1] التحرير والتنوير ٢٠/٧٧.

[2] تلخيص البيان في مجازات القرآن /٢٢٣-٢٢٤ ، وينظر :التحرير والتنوير ٢٠/٧٨.

[3] طه /٣٩.

[4] ينظر :التحرير والتنوير ٢٠/٧٨.

[5] القصص /٣٢.

[6] ينظر: معاني القرآن/ ١٧٨ ،والكنايات القرآنية /٥٥.

والآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾[١] ، تعرض حال قوم موسى، بان الله تعالى قد اتاهم التوراة، ولكنهم اختلفوا في تقرير بعضها وابطال بعض، وفي إظهار بعضها واخفاء بعض، «وهذا الاختلاف بانواعه واحواله يرجع الى الاختلاف في شيء من الكتاب، فجمعت هذه المعاني جمعا بديعا في تعدية الاختلاف بحرف (في) الدالة على الظرفية المجازية، وهي كالملابسة، أي: فاختلف اختلافا يلابسه ، أي يلابس الكتاب»[٢] و « بني الفعل (اختلف) للمجهول، اذ لا غرض الا في ذكر، الفعل لا في فاعله»، «وللتحذير من الوقوع في مثله»[٣] ، «لانه لم يكتب الا بعد اجيال، وتفرقت فيه الروايات واضطربت، فلا يقين فيه لمتبعيه».[٤] ، وهذه الآية في معرض تثبيت النبي محمد ﷺ وتسليته بان اهل الكتاب هم احسن حالا من أهل الشرك، فقد اوتوا الكتاب، فاختلفوا فيه، فتفرقت كلمتهم واعتقاداتهم وعباداتهم، فلا تأس على اختلاف قومك عليك.[٥] ولولا حكم الله السابق بتاخير الحساب والجزاء الى يوم القيامة لحل عذاب الاستئصال بهم، لان لهم كتابا ، والذين لهم كتب من اتباع الرسل كلهم مؤجلون الى يوم القيامة لان الكتاب دليل هداية باق ، تستطيع الاجيال ان تتدبره كالجيل الذي انزل فيه [٦] والقران الكريم جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل، فهو الكتاب الاخير للناس جميعا، فيجب اقامة حدوده وتطبيق منهجه، اذ يحاسب الانسان على اساسه، بما فيهم اهل التوراة والانجيل، فيجازي الله المسيء باساءته والمحسن باحسانه يوم القيامة. «فكنى بـ(الكلمة) عن القضاء والقدر»،[٧] فجاءت الكناية لتصور قدرة الله تعالى ورحمته بعباده، فقد اجل العقاب والحساب الى يوم القيامة، ليترك المجال لهم للعمل في هذه الحياة الدنيا، وان

---

[١] هود /١١٠.

[٢] التحرير والتنوير ١٢/١٧٠.

[٣] المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[٤] في ظلال القرآن ٤/١٩٣٠.

[٥] ينظر التحرير والتنوير ١٢/١٦٩.

[٦] ينظر :في ظلال القرآن ٤/١٩٣٠.

[٧] صفوة التفاسير ٥/١١٩.

يتسابقوا الى عمل الصالحات والطاعات، وان بدرت منهم سيئة فعليهم ان يبادروا الى الاستغفار والتوبة، لان قدر الله سبق ان الجزاء يكون يوم القيامة،اذ الدنيا دار عمل لا جزاء فيها، وانما الجزاء في دار القيامة التي لا عمل فيها . ولتحث الآية الإنسان على ان لا يشك يوما في الجزاء والوفاء، وان لا يمل من العمل في انتظار ذلك اليوم، فكل يوم تاخير فيه صالح للعبد المؤمن التقي، الذي يتسابق في عمل الخيرات، لايمانه بذلك اليوم الذي تعرض فيه اعماله على الملأ. وبذلك حققت الكناية صورة حية نابضة بالحياة ومعبرة عن معان للنص واسعة جدا.

و الاية الكريمة ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[1] ، توضح استجابة الله تعالى للنبي موسى عليه السلام عندما طلب منه ان يعضده باخيه هارون لانه افصح لسانا واقدر على مواجهة فرعون،فقوله (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) كناية عن القوة[2] ، ومعناها :سنقويك به، شبهه باليد تشتد باشتداد العضد، فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة [3] ، فقد افادت الكناية هنا بان قدرة الله تعالى لموسى ولهارون عليهما السلام بان جعل احدهما يقوي الاخر ، وبشارة وتطمين لهما بان جعل لهما سلطانا في مواجهة فرعون الجبار الطاغي ، هذا السلطان هو سلطان الله فهو سياج حصين مانع لا احد يستطيع ان يصل اليهما والغلبة تكون لمن ساندة الله وتوكل عليه.

فهذه الكناية تزرع في نفس الإنسان الثقة بالله وتعوده التوكل عليه في كل عمل، فما دام في مرضاة الله تعالى، فانه سيكون معينا له مسهلا كل العقبات التي يمكن ان تواجهه وان كان سيواجه اكبر طاغية في كل زمان ، فحققت الصورة الكنائية تكثيفا في المعنى واثباتا لقدرة الله تعالى ومساندته لانبيائه واوليائه وعباده الصالحين الى يوم القيامة.

---

[1] القصص /٣٥.

[2] ينظر :الكنايات القرآنية /٥٥.

[3] ينظر :التفسير الكبير ٢٤/٢٥٠، والتفسير القرآني للقرآن ٤/٣٤٦.

الفصل الثالث

المستوى الصوتي

الفصل الثالث

المستوى الصوتى

الإيقاع:في اللغة: من (وقْعِ حَوَافِر الدَّواب)، و(سمعت وقع المطر) وهو شدَّةُ ضربهِ الأرضَ إذا وبلَ ، و (الإيقاع): اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء . فهو من ايقاع اللحن والغناء[١]إذن (الإيقاع) هو: إحداثُ صوتٍ أو جرسٍ منتظمٍ [٢]، والحصول على الإيقاع يكون بإصدار ترددات سمعية متجانسة بعد فترات متساوية [٣]

أما الإيقاع في الاصطلاح: ((فهو اتصاف الحركات بنظام ، ويطلق على نظام حركات الألحان ، وأزمنتها الصوتية ، في طرائق موزونة، والإيقاع هو: الإبداع الفني المعبّر عن خلجات النفس)) [٤] ، أي: هو ((الصَّوت الذي تحدثه الحروف أو الألفاظ مجتمعةً عن حدث ما ، يؤثّر في النفس ، فيكون أَشَدَّ وقعا وأَكثرَ تأثيرا))[٥] ،والصَّوتُ يتعلَّقُ بالمعنى، فالقوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تَتَأَتَّى من معناها فقط، بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضا[٦].

لذلك فانَّ ((جرس المفردة القرآنية يوحي بمعناها، قبلَ أَن يوحي مدلولها اللغوي عليه))[٧] وتجتمع أَصوات الحروف لِتُكَوِّنَ جرسَ الكلمات، التي تُكَوِّنُ الإيقاعَ العامَ للآيات القرآنية[٨] ، والحروف كالنغمات الموسيقية، لا قيمة لها إِلَّا إذا انتظمت في

---

[١] ينظر :لسان العرب (وقع).

[٢] ينظر: الإعجاز الفني/ ٢١٥.

[٣] ينظر :دروس في علم اصوات العربية، جان كانتينو /١٩٧.

[٤] المعجم الفلسفي (الإيقاع)١/١٨٥-١٨٦.

[٥] الترغيب والترهيب في القرآن الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس(اطروحة ماجستير) /٧.

[٦] ينظر: الافكار والاسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته، تيشترين /٤٥.

[٧] التعبير الفني في القران/ ١٨.

[٨] ينظر :فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية/ ٥٨.

تراكيب، لِتُؤلف لحنا قوامه – في اللغة وفي الموسيقى – أصوات ذات نسب ودرجات ومخارج وأبعاد تناسب ما في النفس الإنسانية من مشاعر ، تلبي رغباتها وتحقق لها ما تنشده من راحة وسكينة [١].

فالقرآن الكريم بلغ الذروة في الإعجاز ، فإعجازه ليس في ألفاظه وأحكامه وشرائعه وصوره فحسب، بل وفي إيقاعه أيضا ، هذا الإيقاع الذي اذهل سامعيه ، فلم يلبثوا، حين وقعت على مسامعهم آياته ، أن تحولوا عن رأيهم المعادي للرسول ﷺ ودينه ، وركنوا الى مسالمته ﷺ، ودخلوا في دينه، فـ ((الإيقاع الصوتي والتناسق الفني في القران آية عظمى من آيات الرحمن))[٢] ،ولا يقاس الإيقاع القرآني،كما يقاس الشعر، بالتفعيلات والأوزان ويضبط بالحركات والسكنات ، ولا يعتمد النظم فيه على الحشو والتطويل ، او الزيادة والتكرار ، او الحذف والنقصان ، ولا تحشد الالفاظ حشدا وتلصق الصاقا ، ويلتمس فيها الابهام او الاغراب، بل الايقاع طليق من كل قيد ، والالفاظ بمعزل عن كل تعقيد، وهذا هو سر الاعجاز، فميزته بأنه اسلوب إيقاعي جميل غني بالموسيقى مملوء نغما وسحرا[٣]

والإيقاع في القران الكريم من الاساليب المهمة، تؤدي غرضاً مهما في توصيل المعنى،اذ جمع القران بين موسيقى الشعر ، و موسيقى النثر ، حيث الايقاع العميق الذي تحدثه دقة التوزيع و حسنه بين الحروف ذاتها، و الكلمة، و العبارة، و الآية، و السورة، إلى جانب موسيقى الحس حيث تشارك الحواس اهتزازات النفس، و موسيقى الروح تنشا من موسيقى الإيقاع، ((فالقران اكتمال لنماذج موسيقية حية في تراكيب خالدة في اللغة العربية)) [٤] تتسم بالدقة في انتقاء الألفاظ و حسن اختيارها ووضعها في موضعها .

و قد تجسد الإيقاع باستعمال صيغ بلاغية، كان لها اثر بارز في إحداث الإيقاع الصوتي، و هي : التكرار،والجناس، والفاصلة القرآنية.

---

[١] ينظر :حروف القرآن ،دراسة دلالية – مجلة الفيصل،ع ١٠٥، ١٩٨٥/ ١٠٤.

[٢] مباحث في إعجاز القرآن، أحمد جمال العمري /١٣٩.

[٣] ينظر :المصدر نفسه ،الموضع نفسه.

[٤] الإعجاز الفني في القرآن /٢٢٠.

المبحث الأول

التكرار

معنـى (التكـرار) لغـة : مـأخوذ مـن (كـرر) اذا ردد واعـاد، ويقـال: (كـرر الشـيء تكريرا) أي: أعاده مرة بعد اخرى .[١]

ومعناه اصطلاحاً: دلالة اللفظ على المعنى مرددا .[٢]

وقـد وقعـت فـي القـران الكـريم صـور مـن التكـرار اللفظـي لـبعض الجمـل، او الكلمـات، او الاحـداث كالقصـص ونحوهـا. وبعـض هـذا التكـرار يمـرمن غيـر ان يجـد القارىء ولا السامع شيئا يلفته اليه ، اذ يقع التكرار على نحو مألوف للاذن ، على ما جرت به الأساليب البيانية في اللغة ، وذلك بتكرير اللفظ او الجملة لغرض التوكيد.[٣] فـالمتكلم يكـرر اللفظـة الواحـدة تاكيـداً للوصـف، او للمـدح، او للـذم، او للتهويـل، او للوعيد.[٤] ولم يأت التكرار في القران الكريم اعتباطا، بلا غاية ولا هدف، بل جاء لتادية غرض معنوي، فيلمس «وترا حساسا في نفس الإنسان، بان تترك فيه أثرا حسنا إذا اقدم علـى عمـل صـالح، او أثـر قبـيح إذا تمسـك بعمـل طـالح ، ولـذلك كانـت فوائـد التكـرار متعددة»[٥].

ويقسم التكرار على قسمين، (الاول): يوجد في اللفظ والمعنى، (والآخر): يوجد في المعنى دون اللفظ.[٦] وسنقف في دراستنا على القسم الأول، لان الجانب الإيقاعي يتضح فيه دون الآخر ، وهو على ثلاثة أقسام، هي: التكرار في الحرف، والتكرار في اللفظ ، والتكرار في العبارة. «والتكرار بشتى أنواعه يحدث نوعا خاصا من الإيقاع

---

[١] ينظر :لسان العرب (كرر).

[٢] ينظر: المثل السائر ٢/٣٥٨.

[٣] ينظر :من قضايا القرآن نظمه وجمعه وترتيبه، عبدالكريم الخطيب / ١١١.

[٤] ينظر: تحرير التحبير،أبن ابي الإصبع / ٣٧٥.

[٥] من علوم البلاغة /١١٧.

[٦] ينظر: تحرير التحبير/٣٧٥.

تستلزمه العبارة لاغراض فنية ونفسية واجتماعية ودينية »[١]. اذ يولد دلالات تخص المعنى وتمنحه امتدادات متباينة، وإيحاءات ذات تأثير واضح على القارئ. [٢]

ومن التكرار في الحرف قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [٣] ، ففي الاية الكريمة نجد ان النغمة التي تطغى عليها هي نبرة الخوف ، وتفيد هذه الآية ان الذين اظهروا ايمانهم وانضمامهم الى موسى من بني اسرائيل كانوا هم الفتيان والصغار ، وهؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنتهم وردهم عن اتباع موسى ، خوفا من فرعون وتاثير كبار قومهم، فهو اعلى قوة، و هو السلطة العليا في البلاد، و هو المتجبر المسرف في الطغيان، لا يوقفه احد [٤].

فكان لرنين (ان)، وقوة جرسه في التاثير ، والترنم بتكراره، دلالة واضحة على ما يشعر به هؤلاء الفتيان الصغار من الخوف ، وتكرار (ان) يحدث ايقاعا داخل المعنى، يتأكد داخل النفس، فيجعلها تشعر بهذا الخوف، وتتصور ظلم فرعون وجبروته وطغيانه.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [٥]. تعرض الاية طغيان قارون أنموذجا للإنسان الذي يعتقد ان كثرة الاموال تغنيه عن الله تعالى، وتحمله على التكبر على قومه، فهذه الاية تحمل معنى التوبيخ لهذا الصنف من البشر، الذي يفرح بالاموال، ولا يعلم ان الاموال كلها لله تعالى، وان الإنسان ما هو الا خليفة الله في هذه الارض ، والله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقبض الرزق عمن يشاء ، فيجب على الانسان ان لا يفرح بالاموال لكثرتها .فجاء تكرار الحرف (ان) ليرسخ جرسها في الذهن هذا المعنى، وتكون فيه العبرة بما آل اليه قارون.

---

[١] الإعجاز الفني في القران /٢٣١.

[٢] ينظر: التكرير بين المثير والتاثير، عز الدين علي السيد / ٢٨١.

[٣] يونس /٨٣.

[٤] ينظر: في ظلال القران ١٨١٥/٣.

[٥] القصص /٧٦.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [١] ، تعرض الآية الكريمة نعمة اخرى من نعم الله على بني إسرائيل، وهي نعمة نسخ تكليف شديد عليهم، كان قد جعل جابرا لما اقترفوه من اثم عبادة الوثن، فحصل عفو عنهم بدون ذلك التكليف، فتمت المنة، وبهذا صح جعل هذه منة مستقلة بعد المنة التي تضمنها قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٢] ، لان العفو عن المؤاخذة بالذنب في الاخرة، قد يحصل مع العقوبة الدنيوية، من حد ونحو، وهو حينئذ منة، اذ لو شاء الله لجعل للذنب عقابين، الأول في الدنيا، والآخر في الآخرة، كما كان المذنب النفس والبدن [٣] .

فكان لتكرار الحرف اثره في تصوير الحدث من خلال الإيقاع الصوتي، الناجم من تكرار (الكاف)، وما يحمله من ثقل في النطق، مصورا ثقل النعم التي انعمها الله على بني إسرائيل ، و كذلك إحداثه رنة ايقاعية قوية تهز النفس ، و تدعوها الى التدبر في الاثم العظيم الذي أرتكبوه، و منة الله عليهم، وتبين في الوقت نفسه واقع تلك النفوس .

و كذلك التكرار في الآيات الأخرى [٤] التي تكرر فيها صوت (الكاف)، ليضفي بعدا نغميا على الآيات الكريمات، لتصور ثقل تلك النعم على بني اسرائيل .

و في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [٥] ، ترسم الآية الكريمة صورة التحدي واضحا من خلال تخيير السحرة لموسى بالالقاء اولا،((وتبدو كذلك ثقتهم بسحرهم و قدرتهم على الغلبة))[٦] ، فكان التكرار الصوتي الذي احدثه تكرار الحرف (ما) بكل ما يوحيه حفيف (الميم) الناجم من انطباق الشفتين تماما

---

[١] البقرة /٥٤.

[٢] البقرة/٥٢.

[٣] ينظر :التحرير والتنوير ١/الكتاب الثاني/٥٠٢

[٤] المائدة/٢٠، والأعراف/١٥٥،و إبراهيم/٦، وطه/٨٦.

[٥] الأعراف/ ١١٥.

[٦] في ظلال القران ١٣٤٩/٣.

[١] محدثة صوتا مدويا يثير الخوف، فضلا عن صعوبة نطق الهمزة الخارجة من المزمار ، نتيجة لانطباق فتحته تماما ، ثم انفراجها فجأة فتحدث صوتا انفجاريا.[٢] وعند التقائه مع صوت الميم المشددة يولد ايقاعا يثير النفس، ويحرك العقل داعيا إياه الى التدبر ، ولكي ندرك حقيقة ما كان، لنتأمل ما كان في سورة طه ﴿فَأَوْجسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [٣] .

وفي قوله تعالى﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [٤] كان لتكرار الحرف موقعه في تشكيل الإيقاع، وتصوير المعنى، واشاعة جو من تهويل الحدث وتجسيمه وهو قتل القبطي ، فالإيقاع الذي احدثه تكرار العين(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ)ليوحي ببشاعة تلك الفعلة ((فعلت فعلتك الشنيعة التي لا يليق الحديث عنها بالالفاظ المفتوحة !! فعلتها وانت من الكافرين))[٥] ، وقد ساعد التكرار على تصعيد الايقاع من خلال تكرار حرف العين، فهو من اطلق الحروف و اضخمها جرسا[٦] ليزيد من هول الحدث وليكون ابلغ في البشاعة .

وفي قوله تعالى﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٧] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ [٨] ، تكرر حرف السين في الآية الأولى ثمان مرات، وفي الاية الثانية ست مرات، فهيمن هذا الصوت ليعبر عن عظم تلك الامور التي وصفتها الايتان الكريمتان، وقد جاء

---

[١] ينظر: الأصوات اللغوية، د.ابراهيم أنيس /٤٥.

[٢] ينظر :المصدر نفسه /٩٠-٩١.

[٣] طه/ ٦٧.

[٤] الشعراء/١٩-٢٠.

[٥] في ظلال القران ٥/٢٥٩١.

[٦] العين ١/٥٣.

[٧] الأعراف /١٦٠.

[٨] الإسراء/١٠١.

التعبير القرآني بصيغة التذكير والتوجيه لبني اسرائيل، الذين عاشوا مع النبي محمد ﷺ تعبيراً عن عظم تلك الامور الدالة على قدرة الله تعالى، وبنو إسرائيل لهم علم ومعرفة بها .

وفي قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [١] ، نجد السين قد تكررت اربع مرات، وهي صوت صفيري رخو مهموس عند النطق بها تقترب الاسنان العليا من السفلى، فلا يكون بينهما الا منفذ ضيق جدا [٢] وتتصف بانها ((صوت اسناني لثوي رخو مهموس مرقق وينطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالاسنان السفلى، ومقدمه بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الانفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين، ثم خفض مؤخر، اللسان وفتح الاوتار الصوتية في وضع التنفس المهموس))[٣] ، وفضلاً عن هذه الصفة السمعية، نجد الصفة الفكرية في إظهار المعنى، لتتواشج الصفتان لاظهار المعنى ، فسياق الاية هو سياق اطمئنان وراحة ، اذ ان ((موسى عليه السلام انس النار واحسها، ووجد من إحساسه لها انسا، وهو في وحشة مطبقة من صمت الصحراء وظلام الليل فلما رأى النار استشعر الانس عندها ، واحس الانس من جهتها ، اذ لا توقد نار الا وعندها من اوقدها ليستدفئ بها ، او يهيئ لنفسه طعاما عليها))[٤] ((فأول ما كان من موسى انه رأى نارا مجرد رؤية . ثم دخل عليه من هذه الرؤية انس واطمئنان))[٥] ، فهذا الانس وهذه الراحة انعكاس دلالي لنطق هذا الصوت، فضلا عن الهمس الموجود في هذا التعبير.

هكذا نجد ان تكرار هذه الأحرف في هذه الآيات يفصح عن معان يقتضيها سياق الآية.

اما النوع الثاني من التكرار فهو تكرار اللفظ، ومنه قوله تعالى:﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ

---

[١] النمل/ ٧.

[٢] ينظر: الأصوات اللغوية /٧٦.

[٣] مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسن /١٢٨.

[٤] التفسير القرآني للقرآن ٢١١/٤.

[٥] التفسير القرآني للقرآن ٢١٢/٤.

فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [١] . تبدأ الآية بحركات كلها عنف و خشونة ، قذف به في التابوت، و قذف بالتابوت في اليم، و إلقاء للتابوت على الساحل، ليأخذه عدو لي و عدو له [٢] فنجد في التعبير القرآني تكرار لفظة (عدو) ، (يأخذه عدو لي و عدو له) جواب للأمر بالإلقاء، و تكرير العدو للمبالغة في الأمر و الإشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه، و لا تضره، بل تؤدي الى المحبة[٣] فنلاحظ اثر التكرار و ما يحمله من معان تدل على شدة الكره و البغض، و ما تمتاز به اللفظة بوقعها الصوتي الشديد و جرسها الموسيقي العنيف، المتأتي من شدة الحروف المكونة لها.

و قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ [٤]، يبين علة إرسال موسى إلى هؤلاء، فهو يبدأ بإعلان صفة القوم بأنهم (ظالمون)، فقد ظلموا أنفسهم بالكفر و الضلال ، و ظلموا بني إسرائيل بما كانوا يذبحون ابناءهم و يستحيون نساءهم، و يعذبونهم، وبعد أن قدم صفتهم عينهم (قوم فرعون) [٥]وفي تكرير كلمة(قوم) تأكيد، اذ لم يقل: ائت قوم فرعون الظالمين، هكذا نلمس في التكرار الذي تضمنته الآية ما يضفي على النص تميزا و إيقاعا صوتيا موحيا، عبر عنه تكرار كلمة (قوم)، فبوصفهم بالقوم الظالمين ثم بتعينهم بقوم فرعون اثارة لغضب موسى عليهم، حتى ينضم داعي غضبه عليهم، الى داعي امتثال أمر الله بالذهاب إليهم، و ذلك اوقع لكلامه في نفوسهم ، و فيه إيماء الى انهم اشتهروا بالظلم [٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ [٧]يأمر الله تعالى النبي محمداً ﷺ بان يذكر لقومه في القران الكريم خبر موسى

---

[١] طه /٣٩.

[٢]ينظر: في ظلال القران ٢٣٣٤/٤.

[٣] ينظر : ارشاد العقل السليم ٦/ ١٥ .

[٤] الشعراء / ١٠-١١.

[٥] ينظر :في ظلال القرآن ٢٥٨٩/٥.

[٦] ينظر: التحرير و التنوير ١٠٤/١٩.

[٧] مريم /٥١.

الكليم و منزلته عند الله، إذ استخلصه الله لنفسه، و اصطفاه من بين الخلق لكلامه، أي: هو من الرسل الكبار و الأنبياء الأطهار، جمع الله له بين الوصفين الجليلين ،و في تكرار لفظ (كان) تفخيم لشأن موسى عليه السلام [١] .

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [٢] نجد تكرار لفظة (رب) في الآيتين الكريمتين يصور اعتراف السحرة بصدق موسى عليه السلام في رسالته من عند الله، فقولهم(رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) ((عطف بيان لـ (رب العالمين)، لان فرعون كان يدعي الربوبية، فارادوا ان يعزلوه، ومعنى اضافته إليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان، والذي اجرى على أيديهما ما جرى))[٣] فهم يؤمنون برب العالمين الذي ارسله، ويخلعون عنهم عبادة فرعون ، وهم كانوا منذ لحظة جنوده الذين جاءوا لخدمته ونصرته على موسى عليه السلام.[٤] فنجد تكرار لفظة (رب) قد ولد ايقاعا هادئا مطمئنا، فالراء، ذلك الصوت المتوسط الشدة والرخاوة، عندما يخرج من الفم يبدو وكأن طرف اللسان يطرق حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين او ثلاث.[٥] فضلا عما احدثة صوت الباء،الشديد المجهور الانفجاري، فللنطق به تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندهما ، ثم تنفرجان فجأة فيسمع صوت الباء.[٦]

فنطق السحرة بهذه اللفظة عكس انقلابهم من سحرة ماجورين الى مؤمنين من خيار المؤمنين، على مرأى ومسمع من الجماهير الحاشدة، ومن فرعون وملئه، لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان في وجه الطاغية من عواقب ونتائج ، ولا يعنيهم ماذا يفعل وماذا يقول[٧] ،فالتكرار قد صور الحدث فضلا عما له من اثر في توكيد المعنى .

---

[١] ينظر: اصفوة التفاسير ٨/٤٤.

[٢] الشعراء /٤٧-٤٨.

[٣] الكشاف ٣/٣١٣.

[٤] ينظر: في ظلال القران ٥/٢٥٩٦.

[٥] ينظر: الأصوات اللغوية/ ٦٧.

[٦] ينظر: المصدر نفسه/٤٥.

[٧] ينظر: في ظلال القران٥/٢٥٩٦.

أما النوع الثالث فهو تكرار الجملة أو العبارة، و هذا النوع يعمل على إيقاظ ذهن المتلقي، من خلال الجرس المنبعث من ألفاظ الآية القرآنية، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١] فتكرار عبارة (إِنْ كُنْتَ) ولد نغمة من الاستخفاف بموسى عليه السلام وأظهرته بمظهر الكاذب الذي يزعم انه رسول من رب العالمين بلا بينة ولا دليل ،فقوله (إن كنت جئت باية) أي: من عند من ارسلك كما تدعيه، فأت بها، أي: أحضرها حتى تثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك، فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي إظهار الآية لا محالة. [٢] وهكذا نلحظ ان لتكرار العبارة أثرا عظيما في إحداث ايقاع صوتي ، يتوافق مع الحدث المعروض.

والآية الكريمة: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [٣] تضمنت تكرار جملة(اتخذ قوم موسى) بصيغة (اتخذوه) جاءت الأولى لاجل التعجيب من فعلهم وجاءت الثانية مؤكدة الأولى توكيدا لفظيا[٤]. أي: فعلوا ذلك و كانوا ظالمين، أي واضعين الأشياء في غير موضعها ، و يرى ابو السعود ان «تكرير (اتخذوه) لتثنية التشنيع و ترتيب الاعتراض عليه »[٥] ، لذلك أثر التكرار في زيادة المعنى و تأكيده .

و في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٦] تكررت عبارة (ان كنتم) و قد أفاد تكريرها توضيح معنى الإيمان و الاستسلام لارادة الله ، أي: ان كنتم آمنتم بالله و باياته، فعليه توكلوا، و به ثقوا و لا تخافوا أحدا غيره، ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله وقدره مخلصين العبادة له[٧] ،

---

[١] الأعراف / ١٠٦.

[٢] ينظر :في ظلال القران ١٣٤٧/٣.

[٣] الاعراف /١٤٨ .

[٤] ينظر : التحرير و التنوير ١١١/٩.

[٥] ارشاد العقل السليم ٢٧٣/٣.

[٦] يونس /٨٤ .

[٧] ينظر: رشاد العقل السليم ١٧١/٤.

فالتكرار وضح المعنى بجرس اللفظ و تاثيره في السامع ، بضرورة الإيمان بالله و التوكل عليه والاستسلام لارادته فان هذا من أركان الإيمان بالله .

من خلال هذه الجولة في آيات النبي موسى عليه السلام التي ورد فيها التكرار نجده شكل عنصرا مهما من عناصر تكوين الإيقاع وتأكيد المعنى، منسجما مع الحدث الذي عرضه، فتكرار الحروف أو الألفاظ أو التراكيب نفسها أمد النظم القرآني بشحنات موسيقية أسهمت في تكوين الإيقاع العام للآيات.

المبحث الثاني

الجناس

(الجناس) لغةً ، مصدر (جانس)، و (التجنيس): تفعيل من (الجنس)، و (المجانسة) مفاعلة منه لان إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، و (التجانس): مصدر (تجانس الشيئان) إذا دخلا تحت جنس واحد ،و(يجانس هذا) أي: يشاكله [١]. و السبب في تسميته (جناسا): ((مجيء حروف الفاظه من جنس واحد و مادة واحدة))[٢].

ومعناه اصطلاحا : ((اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه مع اختلاف معنييهما))[٣] وقصره آخرون على: ((تشابه الكلمتين في اللفظ))، ولم يشترطوا أختلاف المعنى .[٤] و الجناس في القران الكريم له ((دلالته الفنية التي لا يسبر غورها الا الفكر المتأمل و الذوق الشفاف)) [٥].

فألفاظ التجنيس تحدث في السمع ميلا إليه، فان النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين ، و تتوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ ، فللتجنيس فائدة ووقع في النفوس[٦] ، فليست الألفاظ في القران تلك الحروف التي لا تدل إلا على المعنى ، بل هي ينبوع يفضي بالصور و الأحاسيس و الألوان ، وهي صور حسية تمر بخيال القارئ او السامع فيلمسها إحساسه فتراها عينه [٧].

ويمكن تقسيم أسباب ميل العرب لسماع القران الكريم على جانبين من صوتية ألفاظ القران الكريم، (الأول): الإيقاع الذي عليه نظمه ، و(الآخر): طبيعة أصوات

---

[١] ينظر :أنوار الربيع في فنون البديع، للمدني ٩٧/١.

[٢] جنان الجناس، الصفدي /١٠.

[٣] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة،للعلوي ٣٥١/٣.

[٤] ينظر: مفتاح العلوم /٦٦٨،وفنون بلاغية ،د.أحمد مطلوب /٢٢٣-٢٢٤.

[٥] المعاني الثانية لأسلوب القرآن /٤٤٤.

[٦] ينظر:جوهر الكنز، ابن الأثير الحلبي / ٩١.

[٧] ينظر :المشاهد في القرآن الكريم /٣٠٣.

حروفه و كلماته [١]. و ما يثيره الجناس من ايقاع في الشاهد القرآني لا سبيل إلى إنكاره لأنه داخل في بناء الجملة من خلال النسق [٢] ، فهو ((يقبل في الكلام إذا كانت الصنعة فيه توافق الطبع))[٣]. إذ ينقلنا من حال اعتيادية إلى حال تموج بالحركة و النغم، و تمدنا بطاقة نفسية نعيش بها لحظات تهدينا إلى المغزى و المعنى المقصود من الآية الكريمة [٤]. فالمتلقي يسمع الصوت أولا ثم يفهم المعنى، فهذا الصوت يترك في نفس المتلقي انطباعا عن المعنى المراد .

و قد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى هذا فقال: ((أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا))[٥] ، ((وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا يبتغي بدلا ، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته ،- وان كان مطلوبا- بهذه المنزلة وفي هذه الصورة وذلك كما يمثلون به ابدا من قول الشافعي - رحمه الله – وقد سئل عن النبيذ فقال:(اجمع اهل الحرمين على تحريمه)))[٦].

وتظهر فائدة الجناس بتجاوب الموسيقي الصادرة عن تماثل الكلمات تماثلا كاملا او ناقصا، تطرب موسيقاه الآذان ، والجناس يقصد استلاب الأذهان ، وخداع الافكار، حيث يوهم ان يعرض على السامع معنى مكررا او لفظا مرددا، لا يجني منه السامع غير التطويل والسأم فاذا هو يروع ويعجب ويأتي بمعنى يغاير ما سبقه، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة[٧]. ويعرف الجناس الجيد من خلال دقة

---

[١] ينظر :الاسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، محمد كريم الكواز (أطروحة دكتوراه) / ٢٧٤.

[٢] ينظر :المعاني الثانية لأسلوب القرآن /٤٤٣.

[٣] البلاغة فنونها و افنانها ٢٩٧/٢.

[٤] ينظر :الاعجاز الفني في القرآن / ٢٢٦.

[٥] اسرار البلاغة/٦.

[٦] المصدر نفسه /١٠.

[٧] ينظر :البديع في ضوء أساليب القران ، عبد الفتاح لاشين / ١٦٦-١٦٧.

تمثيل الصورة ، و الجرس الموسيقي[١] ، فهو من الحلي اللفظية والألوان البديعية، التي لها تأثير بليغ تجذب السامع ، وتحدث في نفسه ميلا للإصغاء ، والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة مقبولة في النفس، وتتأثر بها أيما تأثر، وتقع، في القلب احسن موقع [٢].

لننظر إلى قوله تعالى في تصوير حال قوم فرعون وعتوهم ووضعهم الأمور في غير موضعها الصحيح﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

فالجناس بين (يَطَّيَّرُوا) [٤]، والذي ((اصله: يتطيروا ، وهو (تفعل) ، مشتق من اسم (الطير) ، كأنهم صاغوه على وزن (التفعل) لما فيه من تكلف معرفة حظ المرء بدلالة حركات الطير ، أو هو مطاوعة سمي بها ما يحصل من الانفعال من اثر طيران الطير))[٥] ، وبين (طائرهم) الذي هو ((اسم للطير الذي يثار ليتيمن به أو يتشاءم)) [٦] ، فقد رسم لنا الجناس صورة لطبيعة قوم آل فرعون وجهلهم، إذ يقيمون أمورهم على أسس غير علمية، و يعتمدون على التطير في تسيير أمورهم ، و هذا هو شعار أهل الشرك، إذ ينسبون المسببات لغير أسبابها، و في الحديث: ((الطيرة شرك)) [٧] و هذا شاهد على كمال قساوة هؤلاء القوم و نهاية جهلهم و غباوتهم، فان الشدائد ترقق القلوب، و لا سيما بعد مشاهدة الآيات، لكنهم يزدادون تكبرا و عنادا .[٨] وقوله تعالى (و لكن أكثرهم لا يعلمون) ، أسند عدم العلم إلى أكثرهم،

للإشعار بان بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير و الشر من جهة الله تعالى، اويعلمون أن ما أصابهم من المصائب و البلايا ليس إلا بما كسبت أيديهم، فنفي العلمعن أكثرهم تنبيه على ان قليلا منهم يعلمون خلاف ذلك، و لكنهم يشايعون مقالة

---

[١] ينظر :فن الجناس،علي الجندي /٣٠.

[٢] ينظر :البديع في ضوء أساليب القران /١٥٥.

[٣] الأعراف/ ١٣١.

[٤] أي :يتشاءموا بموسى.

[٥] التحرير والتنوير٩/٦٥.

[٦] المصدر نفسه ٩/٦٧.

[٧] المستدرك، للحاكم ١/٦٤ ، والسنن الكبرى، للبيهقي ٨/١٣٩.

[٨] ينظر :إرشاد العقل السليم ٣/٢٤٦.

الأكثرين[١]، هذه الصورة ترسمها لفظتا (يطيروا) و (طائرهم) من خلال إيقاعهما الموسيقي الذي ينبه الآذان و العقول و القلوب إلى وجوب إقامة الأمور على أسس علمية، بحسب نية الإنسان و عمله و حركته و جهده، فكل ما يصيب الإنسان مصدره واحد، و لكن أكثرهم لا يعلمون ، و كان للجرس الذي أحدثه هذا الجناس اثر في إبراز هذا المعنى ، و قد كان لصوت (الطاء) اثر كبير، فهو من الأصوات المجهورة الشديدة، فضلا عما فيه من الإطباق ،[٢] ليؤكد إن سبب المصائب هو كفرهم و إعراضهم عن الإيمان ، لذلك فان سببها فيهم، لا في غيرهم .

و في قوله تعالى: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِين ﴾[٣]يذكر الله ﷻ خطاب فرعون لموسى عليه السلام بعد أن ذكره بفضله عليه بتربيته حتى بلغ مبلغ الرجال [٤]، فكان الجزاء كفران نعمة و قتل نفس،[٥] فجاء الجناس في قوله (فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ) تهويلا للواقعة ، و تعظيما للأمر فضلا عن أن اللفظتين من جنس واحد، مما يؤدي إلى التناسق الموسيقي بينهما، ليشكلا إيقاعا موسيقيا ، يوحي بالهول و شناعة الفعل ، و كان العين مركز الإيقاع في هذا النظم القرآني، فالعين عند الخليل ((من أطلق الحروف و أضخمها جرسا))[٦] .

و في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٧] جاء جواب فرعون ، على دعوة موسى له الى عبادة الله، مؤكداً: بحرفي التأكيد (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) ليفتنهم بذلك و يصرفهم عن قبول الحق، و سماه (رسولا) بطريق الاستهزاء، و أضافه إلى مخاطبه ترفعا من ان يكون مرسلا إليه نفسه[٨] ، فجاء الجناس في اللفظتين (رسولكم و أرسل) ليوضح التهكم و الازدراء الذي لقيه موسى

---

[١] ينظر: التحرير و التنوير ٦٧/٩.

[٢] ينظر: جرس الألفاظ، د.ماهر مهدي هلال / ١٣٦-١٣٧.

[٣] الشعراء /١٩.

[٤] الشعراء / ١٨.

[٥] ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٣٨/٦.

[٦] العين ٥٣/١.

[٧] الشعراء /٢٧.

[٨] ينظر :إرشاد العقل السليم ٢٣٩/٦.

عليه السلام من فرعون فعبر عن نفسية فرعون التي ترفض الهداية، لاتصافها بالتكبر و العناد، و اللفظتان تعودان الى جذر لغوي واحد، بيد انهما جاءتا لإضفاء معاني أخرى بحسب السياق و متطلباته، لان الآيات مسترسلة في حوار بين فرعون و قومه، فلكل لفظة موقعها المناسب في توضيح المعنى .

ولنتأمل قوله تعالى و هو يصور لنا مجيء ابنة شعيب إلى موسى عليه السلام و هي تمشي على استحياء، و قد تجسد الحياء فكان بساطا ممدودا على طريقها إلى موسى، فهي لا تمشي على الأرض ، بل تمشي على حياء ، تقصر به خطاها، و يضطرب له كيانها، لتخبره بان أباها يدعوه ليجازيه على إحسانه إليهما ، [1] فقال تعالى ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2] فالجناس بين لفظتي(قص) و(القصص) جاء بموسيقاه الهادئة ليعبر عن الراحة النفسية التي احس بها موسى عليه السلام و هو في مدين، بعد ان كان خائفا و هو في المدينة يترقب خوفا من ان يكشف أمره فهو الآن بعيد عن المدينة و يشعر بالأمن و الأمان ، فقوله (قص عليه القصص) أي:اخبره ، و قص عليه قصة خروجه و مجيئه إلى شعيب [3] ، فطمأنه شعيب بان أزال عن نفسه الخوف ،لأنه اصبح في مأمن من أن يناله حكم فرعون، لان بلاد مدين تابعة لملك الكنعانيين، و هم اهل باس و نجدة [4] ومما يؤيد استجابة الله عز وجل له قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[5] ، فكان للإيقاع الصوتي من جراء تجانس الكلمتين اثر بارز في توجيه النفوس نحو المعنى الذي تحمله كل من اللفظتين ، فعمل الجناس على إحداث تردد صوتي من خلال تكرار حرفي القاف و الصاد، لتصور المعنى بأجمل صورة. ولنتأمل قوله تعالى و هو يعرض لناقصة ضربت مثلا لحال كفار مكة

---

[1] ينظر :التفسير القراني للقران ٣٣٦/٤.

[2] القصص / ٢٥.

[3] ينظر :التحرير و التنوير ١٠٤/٢٠.

[4] ينظر :المصدر نفسه، الموضع نفسه .

[5] القصص /٢٤.

و سادتهم فقال تعالى:﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [1]، إذ كان قارون ابن عم موسى عليه السلام، و قد تألب مع بعض زعماء بني إسرائيل على موسى و هارون (عليهما السلام) ، ((و في الإخبار عنه بأنه من قوم موسى تمهيد للكناية بهذا الخبر عن إرادة التنظير بما عرض لرسول الله ﷺ من بغي قرابته من المشركين عليه))[2] ،و قد تكبر على قومه و استعلى عليهم، بسبب ما منحه الله من الكنوز و الأموال، فقال له أهل الموعظة من قومه (لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) فـ (الفرح) يطلق على السرور و الفرح المنهي عنه،وهو المفرط منه .[3] أي: لا تأشر و لا تبطر فان الله لا يحب الذين لايشكرون الله على أنعامه، و يتكبرون بأموالهم على عباد الله [4] .

فجاء الجناس في (لا تفرح) و(الفرحين) لينبهنا إلى المعنى الذي توحيه لفظة (الفرح) و التناسق الموسيقي بينها و بين لفظة (الفرحين) ،لانهما من جنس واحد، يشكلان إيقاعا موسيقيا يوحي بان الإفراط في الفرح يؤدي إلى الإعراض عن الجد، وأن المبالغة فيه تقتضي شدة الإقبال على ما يفرح به و الإعراض عن غيره ، فلذلك عبر الجناس هنا عن سلوك غير لائق يتصف به المتكبر الذي لا يؤمن بالله و لا يشكره على نعمه .

و في قوله تعالى و هو يوضح لنا الغاية من إرسال الرسل قال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ [5]، ورد الجناس بين لفظتي (أرسلنا) و(رسولا) ،اللتين تعودان إلى جذر لغوي واحد، هو (رسل)، ليدلل على وحدة الرسائل السماوية ووحدة مصدرها و غايتها .

و في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي

---

[1] القصص /٧٦.

[2] التحرير و التنوير ١٧٦/٢٠.

[3] ينظر :التحرير و التنوير ١٧٨/٢٠.

[4] ينظر :صفوة التفاسير ٤٩/١١.

[5] المزمل/١٥.

السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ [1] جاء الجناس بين لفظتي (أمرا) بمعنى: أمرا من الأمور [2] و (امرا) بكسر الهمزة بمعنى: الأمر العظيم المنكر .[3] فعرض لنا الجناس شخصية النبي موسى عليه السلام المتعلم و ما يتسم به من صبر يقضي طاعة الأمر في ما يأمر به، مع أن موسى كان رسولا، إلا انه لم يكن يعلم ما خص الله تعالى به العبد الصالح من علم لدني، كشف له به من أسرار الغيب ما لم يكن يعلمه نبي الله [4] فجاءت اللفظتان المتجانستان باختلاف حركة الهمزة منسجمة مع المعنى في كل منهما فكان (أمرا) – بالفتح – منسجما مع دلالة الصبر و الطاعة في انقياد النفس مع الصبر، و (امرا) – بالكسر – المعروف بالشدة و القوة بما ينسجم مع دلالته على الأمر العظيم المنكر ، و هذا الاختلاف في الحركات احدث انتقالة من لين إلى شدة، تتناسب و الفرق الكبير بين الظاهر و الباطن ، فجاء الجناس يناسب الحقيقة العظيمة التي أراد الله عز وجل أن يعلمها لنبيه موسى عليه السلام وللإنسان الذي ليس له إلا ظاهر الأشياء، و عدم معرفة المطلق و ما في الغيب، أيا كان هذا الإنسان نبيا ام إنسانا عاديا،[5] فجاء الجناس معبرا عن الغرض اجمل تعبير مما لو استعمل كلمة (طلبا) بدلا من (أمرا) او كلمة (منكرا) بدلا من (أمرا) .

و في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [6]يعتذر هارون من موسى عليه السلام بعد أن وبخه على بقائه بين عبدة الأصنام [7] فالجناس نلمسه في لفظتي (بين) و(بني)[8] ،بجعل الحرف الثاني(الياء) من اللفظة الأولى (بين)، آخرا في اللفظة الثانية (بني) ،و هذا الأختلاف أدى بدوره الى اختلاف المواقع النغمية للإيقاع، (فالياء) بين اللفظتين، وان

---

[1] الكهف٦٩-٧٣.

[2] ينظر : مقاييس اللغة (امر) ١٣٧/١.

[3] المفردات / ٣٠.

[4] ينظر :التحرير و التنوير١٥/٣٧٣ .

[5] ينظر :الجناس في القرآن الكريم ، أ سماء سعود خطاب (رسالة ماجستير) / ١٤٨-١٤٩.

[6] طه/٩٤.

[7] طه/ ٩٢-٩٣.

[8] ينظر :جوهر الكنز / ٩٦ ، والفرائد المشوق/ ٢٤١ ،و أنوار الربيع ١٩٥/١.

كانت ترسم برمز واحد، مختلفة من ناحية النطق بعض الاختلاف، ففي الأولى تسمى حرف لين(بين) ، لانها مسبوقة بحركة ليست من جنسها، فيكون الفراغ بين سطح اللسان وسقف الحنك ضيقا، وفي الثاني تسمى حرف مد (بني)، لأنها مسبوقة بحرف من جنسه، فيكون الفراغ بين سطح الأسنان وسقف الحنك واسعا[١] وهذا بدوره احدث أنتقالة إيقاعية بين الطرفين، تلائم المعنى فجاء الجناس حاملا بلفظيه دلالة سلبية، هي (التفرقة) بين بني إسرائيل، الا ان الجناس يحمل دلالة ايجابية، وهي ترسيخ معنى حفظ الأنفس والاخوة[٢]، فان مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة، اذا انثلمت عسر تداركها.[٣] وهذا التناوب الحاصل بين الدلالة السلبية والدلالة الإيحائية شكل تنوعًا حركياً في الإيقاع، ينخفض ويرتفع، بتقدم وتاخر حروف اللفظتين المتجانستين[٤] .

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾ [٥] ، الآية الكريمة توضح عقاب الله تعالى للسامري في الدنيا والآخرة، اذ قال له موسى عليه السلام : ان حظك من الحياة ان تقول: (لامساس) [٦] . وقال: (وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ) فجعل الاستدلال بالنظر إشارة الى انه دليل لا يحتاج المستدل به الى اكثر من المشاهدة، أضاف الإله الى ضمير السامري تهكما وتحقيرا .[٧] فالجناس نلمسه في (الى) و (الهك) ،اذ ان (الى) حرف تحد به النهاية من جميع الجوانب.[٨] (الهك) هو المعبود

---

[١] ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، د.غانم قدوري /٧١، ومحاضرات الدكتور حسام النعيمي على طلبة الدكتوراه لغة لعام /٢٠٠٠.

[٢] ينظر: الجناس في القرآن الكريم /١٤٠.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ٢٩٣/١٦.

[٤] ينظر :الجناس في القرآن الكريم /١٤٠.

[٥] طه/ ٩٧.

[٦] المساس : مصدر: (مسه)، فالحق سبحانه – سلب السامري الانس الذي في طبع الانسان، وأبدله هوسا ووسواسا ، ينظر: التحرير والتنوير ٢٩٨/١٦.

[٧] ينظر :التحرير والتنوير ٢٩٣/١٦.

[٨] ينظر :المفردات /٢٦.

المزعوم.[١] فبرز الجناس ليدلل على نهاية الإله المزعوم، بإيقاع سريع مشوب بنغمة السخرية والتحقير.[٢]

من الناحية الصوتية هنالك تنوع في الزمن الإيقاعي للفظتين، فلفظة (إلهك) أطول في الزمن الإيقاعي من لفظة (الى)، دل عليه حرف المد (الألف) في الكلمة الأولى، «فضلا عن الازدواج الإيقاعي الحاصل بين طرفي الجناس، و تتابعهما بدون فاصل، مما ينسجم مع دلالة ملازمة السامري لالهه دون غيره بعد ان عاقبه الله بقوله للناس: (لا مساس) »[٣].

ومن خلال هذه الجولة السريعة في الآيات الكريمات نلاحظ اثر الجناس وفعله في إثارة الذهن وشد انتباه السامعين الى كلام الله تعالى، من خلال الإيقاع الذي يحدثه في الآية، وصولا الى المعنى المراد توصيله الى السامع عن طريق إعادة اللفظة التي تشد انتباهه، للوقوف عليها، لمعرفة المراد منها.

---

[١] المصدر نفسه/٢٥ .

[٢] ينظر :الجناس في القرآن الكريم /١٠٧.

[٣] المصدر نفسه ،الموضع نفسه.

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية

الفاصلة القرآنية : هي ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن افهام المعاني)) [١] ، وهي ((كلمة اخر الآية كقافية الشعر ، وسجعة النثر))[٢] وعرفوها ايضا بانها ((الكلمة التي تختم بها الاية من القرآن)) [٣] .

اما عن سبب تسميتها بـ (الفاصلة) فيقول الزركشي : سميت بهذا الاسم لانها ينفصل عندها الكلامان، أي: تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها [٤] ، والفواصل تاتي على ضربين، (الأول) : ما تماثلت حروفه في المقاطع، (والثاني): ما لم تتماثل .[٥] و لايخلو كل واحد من هذين الضربين من ان يأتي طوعا سهلا تابعا للمعاني، او على العكس من ذلك فيكون متكلفا، فان كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وان كان من الثاني فهو مذموم مرفوض [٦].

وقد اختلف العلماء في تسمية اخر الآي بـ (الفاصلة) إذ سماها بعضهم (السجع) [٧] ، و منع آخرون ان يكون في القرآن الكريم سجع[٨] ، لان القرآن الكريم نوع فريد من الكلام، يخالف ما ألفه أهل اللغات، و يتسم بعذوبة نغمه و اتساق جرسه على نحو رائع، يجذب السامع و يملك اللب و يستهوي النفس ختم آياته بحروف فاصلة،

---

[١] النكت في إعجاز القرآن/ ٨٩.

[٢] الفاصلة في القرآن الكريم، محمد الحسناوي / ٢٩ ، وينظر: أبحاث في أصوات العربية، د.حسام النعيمي / ١٤٣.

[٣] من بلاغة القرآن/ ٧٥.

[٤] ينظر :البرهان في علوم القرآن ٥٤/١.

[٥] ينظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي / ١٦٥ ، والفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين /٣٨ .

[٦] ينظر : سر الفصاحة /١٦٥.

[٧] السجع: اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف او في الوزن او في مجموعهما ، يينظر: الطراز ١٨/٣.

[٨] الخلاف في هذا واسع بين العلماء و لمن أراد الاطلاع على هذه الآراء فليراجع : النكت في إعجاز القرآن ٩٧-٩٩ ، و البرهان في علوم القرآن ٥٣/١ – ٩٨، والإتقان في علوم القرآن/ ٣-٢٩، و الفاصلة القرآنية/ ٣٨ .

مسبوق في معظم السور بحرف مدة (ألف او واو او ياء)فتوافق حرف الفاصلة و امتداد الصوت مع أحرف المدة يحدث عذوبة في النغم تستريح لها النفس [١] .

وبفضل الفاصلة القرآنية يتجلى إيقاع موسيقي ((متعدد الانواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان ، هذه الموسيقى القرآنية إشعاع للنظم الخاص في كل موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة ...على ان النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، فجاء بحرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وتضمن في الوقت ذاته من خصائص الشعر: الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن، التي تغني عن التفاعيل والتقفية[٢] .

وموسيقى الفواصل القرآنية تشابه موسيقى القوافي في الشعر ، وبناء القران الكريم على الفواصل يؤكد قيمتها الموسيقية في الكلام ، ((إذ تتوقع الأذن، مع توالي الآيات، تكرير صوت، او عدة أصوات متشابهة))[٣] ، فهي قمة الإيقاع الموسيقي ،يبدأ مع ابتداء أول حرف في أول كلمة من أول الجملة ، ويظل هذا الإيقاع في درجات من القوة والضعف حتى يصل الى الفاصلة [٤].

فالقرآن الكريم حين يراعي الفاصلة، ويسعى على تنغيمها . إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير ، لان رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها، لغة تتغلغل في النفس والضمير، وتسمو بالروح الى آفاق قدسية، فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيلا يتهدج منه صوته ويتماوج مع ألحانها ، ثم ينتهي الى هذه الفواصل فيجد عندها القرار [٥].

ولغة القرآن التي نزل بها ((لغة دندنة وترنم، أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها، وقالوا انهم اذا فرغوا فانهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لانهم أرادوا

---

[١] ينظر: قاموس قرآني معجم دقيق للالفاظ/ ٣٣.

[٢] ينظر :التصوير الفني في القرآن الكريم /٨٦-٨٧، و أبحاث في أصوات العربية /١٤٣.

[٣] من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، محمد السيد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع٣ ، مج٩ ، ١٩٨٦ /٨٥.

[٤] ينظر :البديع تاصيل وتجديد، د.منير السلطان / ٤٢.

[٥] ينظر: خصائص التراكيب/ ٢٨٧.

مد الصوت الذي يلحقون من اجله الالف في الفتح، والياء في الكسر، والواو في الضم، وسيلة من وسائل تهدئة النفس حين تمتلئ إحساسا بالفكرة، او تختلج بالوان من الشعور ، كأنهم لما لم تكن لهم أوتار يفرغون على ألحانها نفوسهم، اتخذوا من كلمات هذه اللغة اوتارا، فكانت أشجى لحنا أعذب نغما)) [١] .

والذي نريد بحثه هنا هو (الفاصلة الموزونة وأثرها في نفس المتلقي)، إذ إنها ذات ((نغمات نفسية ومعنوية وإيقاع يعطي الإنسان روحا، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة ، تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح)) [٢] ، بما تحدثه من ايقاع موسيقي مؤثر ،فالآيات القرآنية تنتهي بفواصل منسجمة موسيقياً بعضها مع بعض،ومن الملاحظ أن القرآن يعنى بهذا الانسجام الموسيقي عناية واضحة لما له من تأثير كبير في السمع، ووقع مؤثر في النفس .[٣]

والفواصل تنقسم من حيث طول الفقرة وقصرها الى :فاصلة قصيرة ، وفاصلة طويلة[٤]

١.الفاصلة القصيرة:

وهي ما كانت مؤلفة من ألفاظ قليلة ، واقلها ما كان من ثلاثة ألفاظ او اقل ، كقوله تعالى﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [٥] ، التعبير القرآني يصور الحق واقعا ذا ثقل وثبات وسيطرة على الباطل الواهي، الذي ليست له قيمة امام الحق الظاهر ، فجاءت الآيات في بداية النص شديدة النغم موجزة اللفظ وافية المعنى، لتبين ظهور الحق وأثره في السحرة، فنلحظ ان الفواصل الموزونة القصيرة قد أحدثت إيقاعا موسيقيا سريعا، ينسجم مع سرعة الحدث المعروف، ليؤكد اثر

---

[١] خصائص التراكيب/ ٢٨٧.

[٢] الفاصلة القرآنية/ ٣٨.

[٣] ينظر :التعبير القرآني /١٩٥ .

[٤] ينظر : الفاصلة في القرآن /١٥١ ، والبديع في ضوء أساليب القرآن/ ١٢٨.

[٥] الأعراف/ ١١٨ –١٢٢.

الحق في القلوب المهيأة لتلقي نوره، وسرعة تحول السحرة من التحدي السافر الى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم، إذ ان لمسة واحدة تكفي لتبديلها تبديلا صادقاً .[١] وصدق رسول الله : «ان القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى »[٢] ، ثم جاءت الآيات التي صورت نفسية السحرة بعد إيمانهم رقيقة النغم خفيفة الروح موجزة اللفظ وافية المعنى، فيها وزن ورنين ، وقد حققت الفاصلة التي بنيت عليها السورة، (الياء و النون) او (الواو والنون)، إشاعة الرنين والنغمة المحببة في الآيات لتلائم المعنى المطروح، مما يؤدي الى زيادة الترنم في الآيات وامداد الإيقاع العام ،وقدم (موسى) على (هارون) حتى تكون الفاصلة بالواو والنون، كالآيات قبلها فيتم التناسق بين الفواصل ويتحد الإيقاع.[٣]

وفي قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً۞ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٤]،نلحظ الآيات وانية الحركة رخية الموجة متوسطة الطول ، وكان لقصر الفقرات دور في إعطاء موجة قصيرة تنسجم مع الجو القصصي الذي يلي مباشرة في السورة .[٥]

فموسى عليه السلام لم يكن يعلم أنه منتدب لهذه المهمة الضخمة، وهو يعرف فرعون، وشهد طغيانه وجبروته، فطلب من الله أموراً تكون له ولأخيه عوناً في التسبيح والذكر والتلقي الكثير من السميع البصير .[٦]

فنجد التقفية في الآية الثانية ومابعدها بحرف المد (الياء) ليدلل على شدة الضعف والحاجة الملحة الى عون الله عز وجل،وفي الآيات الثلاث التي بعدها نجد حروف التقفية قد انتهت بحرف الروي (الألف) المقرون بغنة تشعرنا بالراحة والاطمئنان، اللذين

---

[١] ينظر :في ظلال القرآن ٣/١٣٥٠.

[٢] الأحاديث المختارة، للمقدسي ٦/٢١٢ .

[٣] ينظر : الفاصلة القرآنية /٣٦.

[٤] طه/ ٢٤ -٣٦.

[٥] ينظر :الفاصلة في القرآن الكريم /٢٢٨.

[٦] ينظر :في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٣.

يشعر بهما الإنسان عندما يسبح الله ويذكره، ويسلم اليه أمره، ويتوكل عليه في جميع أمور الحياة، والآية الأخيرة من النص تميزت بإيقاع هادئ معبر ليناسب الجو والموقف ،فالموقف تطمين لموسى عليه السلام بأن ربه لا يبطئ عليه بالاجابه .

فنجد الإيقاع الذي تحدثه هذه الفاصلة الموزونة القصيرة كأنه موسيقى تصويرية لحال موسى عليه السلام وللمهمة الصعبة الموكلة به وباخيه ،ولشدة حاجته الى عون الله، كحال أي عبد من عباد الله يريد ضمان النجاح في هذه الحياة الدنيا، فهو بحاجة الى تيسير الله عز وجل .

والآيات الكريمة:﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۞وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ۞وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ۞وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ۞وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۞وَتَرَكْنَا عَلَيهِمَا فِي الْآخِرِينَ۞سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ۞إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ۞إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] تتحدث عن المنن الإلهية والمنح الربانية التي اكرم الله بها موسى وهرون (عليهما السلام) ،((أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم)) [2]،حيث جاء الحديث فيها موجزا، وهذا الإيجاز من الإيجاز المحكم المعبر الهادف، فيه وزن ورنين حققته الفاصلة المتقابلة بين حرفي (النون والميم) الغنيين، وشاع هذا الرنين في الآيات ليلائم المعنى المطروح، والذي يتطلب هدوءا وتفكرا في هذه النعم ، ساعد حرفا (النون والميم) في فواصل الآيات، وتجاورهما مع حرف الياء المدي، على زيادة الترنم في الآيات وكان لوزن الفواصل ورويها في التماثل الى حد التقارب أثره النفسي، أذ هو ضرب من التنويع الموسيقي المشوق لسماع الكلام .لأن الكلام إذا أستمر على جرس واحد وإيقاع واحد لم يسلم من التكلف وإثارة الملل في النفوس[3] .

وبعد هذه الجولة القصيرة في الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام نجد أن الفواصل القرآنية القصيرة قد تميزت بأسلوب سريع الإيقاع، وفي الوقت نفسه يعبر عن الهدوء والطمأنينة، مولدا انسجاما موسيقيا، يتفق والحدث المعروض ،والقرآن الكريم

---

[1] الصافات/ ١١٤-١٢٢.

[2] روح المعاني ١٣٨/٢٣.

[3] ينظر: الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د.كاصد ياسر حسين، مجلة آداب الرافدين، ع٩ ، ١٩٧٨/ ٣٥٣.

((يعنى بهذا الانسجام الموسيقي عناية واضحة، لما له من تأثير كبير في السمع ،ووقع مؤثر في النفس))[١] .

٢- الفاصلة الطويلة:

وهي الفاصلة التي تتكون من كلمات كثيرة ،فهي متباينة في الطول، تتألف من سبع كلمات او عشر أو أكثر ،وتمتاز بأسلوب بطيء الحركة، رخي الموجة، يغلب عليه الاسترسال وطول النفس [٢]،وقد تتميز بالإيقاع الشديد حسب المعنى المعبرة عنه، لأنها تهدف الى الإقناع والشرح، فتخاطب العقول للتدبر فيها والوصول الى معانيها لذلك كانت أكثر استعمالا في كلام موسى عليه السلام مع قومه، مذكرا إياهم بنعم الله الجليلة عليهم، ليعطيهم الوقت الكافي لتأمل هذه النعم ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ۞وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [٣] ،تبدأ الآيات بتذكير موسى عليه السلام لقومه بنعم الله تعالى التي عاشوها ،نعمة النجاة من سوء العذاب الذي كانوا يلقونه من آل فرعون ،إذ أنجاكم من الذل والاستعباد من فرعون وزبانيته، يكلفونكم على سبيل الاستهانة والقهر أسوأ أنواع العذاب ،ويذبحون الذكور ويستبقون الإناث على قيد الحياة ،فأراد الله اختباركم في هذا البلاء، فإنجاء الله لهم من هذه الحال نعمة تذكر، تذكر لتشكر ،فان شكرتم الله على هذه النعم ،فأنه يزيدكم من فضله، وان كفرتم، أي: أضعتم حق النعمة بالعصيان والجحود، فأن عذاب الله شديد، واستعمال الفعل (أنجاكم) أبلغ من(نجاكم) لما فيه من الإسراع بالنجاة[٤] ،فبين لهم حقيقة الجزاء على الشكر والكفران، فإيمانهم وكفرهم لا يضران الله شيئا ،فهذه حقيقة كبيرة ،حقيقة زيادة النعمة بالشكر، والعذاب الشديد على الكفر، هي وعد من الله صادق، فشكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، أما

---

[١] التعبير القرآني /١٩٥.

[٢] ينظر :البديع في ضوء أساليب القرآن/ ١٢٥.

[٣] ابراهيم /٦-٨.

[٤] ينظر :بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي/ ٧٧.

كفرها فقد يكون بعدم شكرها، او بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها الى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي ..... كله كفر بنعمة الله .[١] فقوله ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ ﴿وأكده بقوله (جميعا)، فضرره لاحق بكم خاصة، غير عائد على الله شيء منه ﴾[٢] ،فصلاح المجتمعات يتحقق بالشكر، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى الله، وتستقيم بشكر الخير ، والله هو الغني عن شكر عباده، المستحق للحمد، فهو المحمود وان كفره من كفره.

كل هذه المعاني طرحتها الآيات الكريمات بشيء من الإيقاع الشديد المتمثل بفاصلة (الميم والدال)، المسبوقة بحرف المد (الياء) فالمعاني المعروضة تتطلب نوعا من الطرق على الذهن، من اجل ان يتدبرها ويدرك عظم هذه النعم التي لا يقوم بها إلا المربي والمدبر لأمور عباده ،ولقد حققت الفاصلة المتمثلة بـ(عظيم) و(شديد) و(حميد) المتماثلة في الوزن، إيقاعا جميلا نصر المعنى الموجود في الالفاظ، من العظمة والشدة والحمد ،أي: عبر بالصوت عن المعنى وعرفنا أبعاد المعنى من ايقاع ألفاظه .

فكان للفاصلة في هذه الآيات اثر واضح فقد ألقت بظلالها على الإيقاع الصوتي المتولد بين الآيات، مستمداً قوته من ايقاع ألفاظها، وفضلا عن ذلك شكلت الفواصل هنا مركز ثقل المعنى الذي يدور حوله تفسير هذه الآيات .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً۞قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [٣] يقسم الله ﷻ في الآية الكريمة الأولى على إعطاء موسى عليه السلام تسع آيات[٤]،واضحات الدلالة على نبوته وصحة ماجاء به من عند الله الى فرعون وقومه، ويطلب الله ﷻمن موسى عليه السلام أن يسأل بني إسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون، فأنهم يعلمون ذلك، مما لديهم في التوراة، فالسؤال ليس طلباً للعلم وانما للاستشهاد، فماذا كان جوابه لموسى

---

[١] ينظر :في ظلال القرآن ٢٠٨٩/٤.

[٢] نظم الدر ٣٨٥/١٠.

[٣] الإسراء /١٠١-١٠٢.

[٤] وهي (العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر والسنين)، ينظر: صفوة التفاسير ٧٧/٧.

عليه السلام : انـي لأظنـك يـا موسـى قـد سـحرت، فتخـبط عقلـك . فكلمـة الحـق، وتوحيـد الله، والـدعوة الـى تـرك الطغيـان، فـي نظـر فرعـون لا تصـدر إلا مـن مسـحور، فـلا يسـتطيع الطاغية ان يتصور هذه المعاني ،فجاء جواب موسى شديدا، يستمد القوة من قوة الحق الذي أرسل بـه، مشرقا منيرا مطمئناً الـى نصـرة الله عز وجل، والقضـاء علـى الطغاة المكذبين بآيات الله الواضحة المنيرة للبصائر .

فالفاصـلة هنـا تمثلـت بـ (مسـحورا ومثبـورا) وختامهـا بـ (الاف) وسـبقها بحـرف المد(الواو)، ولد مدا ينسجم والأسلوب الهادئ المتبع في الآية الأولى في كلام فرعون مع موسى عليه السلام، فقد أتهمه بالسحر، وصاحب السحر لايدري ما يقول –وحاشا الله موسى أن يكون صاحب سحر – ولا يملك قواه العقلية ،فجاء كلامه بإيقاع هادئ يسير بخطوات وئيدة ليلائم المعنى، وكان لطول الآيات أثر واضح في الهدوء الذي سيطر على ايقاع الآية، فكان بمثابة الموسيقى التصويرية التي تصاحب الحدث ،ثم تغير الإيقاع الصوتي في كلام موسى عليه السلام فاصبح قويا عنيفا ينسجم وما يعرضه من حدث ،فضلا عن المقابلة اللطيفة في قول موسى: (واني لَأَظُنُّكَ يا فرعون مثبورا) مقابل قول فرعون (واني لأظنك ياموسى مسحورا) صورت لنا شدة تكبر فرعون وجبروته، وجسمت لنا العذاب الذي يستحقه ،ولما تتمتع به كلمة (مثبورا) من المد الذي صور عظم العذاب الذي ينتظر فرعون ومن كذب معه .

وفي قوله تعالى﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ۞ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً۞ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّا﴾ [1] الفاصلة هنا ذات ايقاع هادئ متأن، رخي الموجة، وذي نغمة طويلة، فضلا عن الإيقاع البطيء الذي يحدثه حرف المد (الياء) ،والمرتكزات الداخلية التي تشكل فواصل داخلية قصيرة متمثلة بالتنوين وإدغامه مما يولد نغمة محببة الى النفس، لأنه في معرض تفخيم شأن موسى عليه السلام فهذه الفواصل الداخلية مع الفاصلة الرئيسة في الآيات، عملت على تشكيل الإيقاع العام في الآيات المتسم بالهدوء والخطى الوئيدة الرزينة والتدفقات الموسيقية الناعمة .

[1] مريم /٥١-٥٣.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [1]،الآيات الكريمات تصور لنا حال الأم المسكينة، فبعد أن ألقت بوليدها في اليم ،أصبح قلبها خاليا من ذكر أي شيء في الدنيا الا موسى ،فعندما سمعت أنه وقع في أيدي فرعون كادت ان تكشف أمره من شدة الوجد والحزن، لولا ان شد الله على قلبها، وجعلها من الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه .

فالآيات الكريمات عرضت حال تلك الأم بإيقاع هادئ متأن رخيم، جسدت الفواصل المتوافقة فيه ذلك الإيقاع الهادئ الرزين، الذي يسير بخطوات بطيئة، ليلائم المعنى، فضلا عن أن الإيقاع الصوتي في لفظة (قصيه) قد أضفى على التعبير روعة وعمقا في المعنى، ما لا يسد مكانها أي لفظة أخرى، فالصاد المضعفة والياء المدية قد ولدتا جرسا يضفي صفة الخوف داخل نفس الأم والأخت ،الى جانب الإيقاع البطيء الذي يحدثه المد الناتج عن حرفي المد (الواو والياء)، فوجود حرفي المد وحرف النون أدى الى ((زيادة الترنم والى إضفاء إيقاع أعلى على النص، عن طريق مد المدة الزمنية التي يستغرقها النغم الصوتي، لكونها فاصلة يتوقف عندهاالكلام))[2] ،وقد كان للمعنى أثر في الإيقاع، فالمعنى يتطلب الهدوء والسير مع القصة حتى عودة الطفل الى أمه، فالإيقاع بمثابة الموسيقى التصويرية التي تصاحب الحدث .

من خلال الجولة السريعة في الآيات التي تميزت بالفواصل الطويلة، نلحظ أنها قد تمتعت بموسيقى هادئة ورزينة، بسبب الحدث الذي تجسمه ،وتمتاز بالقوة عند عرضها للأحداث الشديدة .ولهذا نرى أن الفواصل الطويلة، كالفواصل القصيرة، تعبر عن الموسيقى الشديدة كما تعبر عن الموسيقى الهادئة، بالقوة والإيقاع نفسيهما ، ولكن الفواصل القصيرة يكون الإيقاع معها أكثر وضوحا، لتقارب الفواصل ،فطول الآية وقصرها له أثر في أحداث الإيقاع، لينسجم مع الحدث المعروض، فضلا عن اختيار

---

[1] القصص /١٠-١٣.

[2] النون في العربية، مشتاق عباس معن علي، (أطروحة ماجستير) /٢٥٨.

الألفاظ وحرف الروي الذي يعد النقطة المركزية في الإيقاع من حيث الشدة والهدوء.

خاتمة البحث
و نتائجه

خاتمة البحث و نتائجه

بعد أن من الله تعالى علي بإتمام هذا البحث ،أود أن الخص أهم النتائج التي توصلت اليها :

١-كشف التمهيد، الذي كان بعنوان (جولة في آيات النبي موسى عليه السلام)، أن ذكر النبي موسى جاء أكثر من غيره من الأنبياء -عليهم السلام- ،والحديث عنه لم يكن من زاوية واحدة، وانما تعددت زواياه، لما أشتمل عليه من عظات ودروس، حري بنا أن نتناولها بالدراسة، فهو من أولي العزم، وذو شريعة مستقلة ، ولأنه أرسل الى فئتين كانتا على جانب من العناد والقسوة والكفر :فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملئه)، وأخرى استمرأت الذلة والتبعية والاستضعاف (بني إسرائيل) ،ولأن الذين أرسل إليهم كانت لبعضهم آثاره الباقية الى يومنا الدالة على قوتهم وبطشهم (وهم الفراعنة)،وكانت لبني إسرائيل شؤون مع المسلمين أصحاب القرآن، منذ فجر الرسالة المحمدية-على صاحبها صلاة الله وسلامه- الى يومنا هذا ،فحملت العبرة والموعظة للمسلمين في كل زمان ومكان .

٢-كان للخبر، بنوعيه الحقيقي والمجازي، أثر مهم في جذب انتباه السامعين، وبخروجه عن مقتضى الظاهر جسد لنا بلاغة القرآن الكريم، في استخلاص العبرة من رواية الأخبار الماضية، وحكاية ماجرى للأقوام المبادة، التي لم يبق منها أثر لولا القرآن الكريم الذي ذكر لنا قصص تلك الأمم ورسلهم، ومواقفهم مع رسلهم، وعقاب الله للكافرين منهم .

٣-وكان للإنشاء بنوعيه، الطلبي وغير الطلبي، وأساليبه، نصيب وافر في إيصال المعاني، فهو لايعطينا الحقيقة مجردة جافة، وانما يتميز بخصائصه الفنية التي تعطينا صورا بديعة غنية بالمعاني، تعمل على تاكيدها في ذهن السامع .

وجاء أسلوب الاستفهام اوسع من غيره في الاستعمال، إذ انه من اقدر الأساليب البيانية على استيعاب المعاني المتعددة و إيصالها ، و جعل السامع يسال ويجيب نفسه، مما يساعد على ترسيخ تلك المعاني في النفس.

٤- كان لأساليب بناء الصورة الفنية في آيات النبي موسى عليه السلام دور في إعطاء النص قوة تعبيرية و تكفيفا للمعنى و إثباتا لقدرة الله تعالى و مساندته لأنبيائه و أوليائه و عباده الصالحين الى يوم القيامة.

٥- وكان لأحوال الجملة الخبرية، من تقديم و تأخير، و حذف و فصل، والتفات، دور كبير في توصيل الأفكار، و جذب انتباه السامعين الى المعاني المراد إيصالها.

٦- اما الفاصلة القرآنية الموزونة فجاءت معبرة عن الحدث، و مجسمة له، فهي بمثابة الموسيقى التصويرية للأحداث، فتاتي بموسيقى هادئة ورزينة منسجمة مع الحدث الهادىء،وبموسيقى عنيفة الإيقاع عند عرضها للحدث الشديد، و قد اتفقت الفواصل الموزونة القصيرة و الطويلة في تعبيرها عن الحدث، إلا أن الإيقاع يكون اكثر وضوحا في الفواصل القصيرة، لتقارب الفواصل.

٧- و كان للجناس أثره في تجسيم الحدث و إثارة الذهن و شد انتباه السامعين الى كلام الله تعالى، من خلال الإيقاع الذي يحدثه في الآية، مولدا انطباعا نحو المعنى المراد توصيله الى السامع .

٨- جاء التكرار لتأكيد المعنى بحسب الأنواع و الأغراض.

٩- و أخيرا تدعو الباحثة الى ضرورة دراسة آيات النبي موسى عليه السلام دراسة لغوية دلالية لما تشتمل عليه من العبر و العظات.

و الله ولي التوفيق ، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث و مراجعه

القرآن الكريم

١. أبحاث في أصوات العربية، د.حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٨م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي، المكتبة الثقافية، بيروت ، لبنان، (د.ط) ١٩٧٣.

٣. أثر البلاغة في تفسير الكشاف، د.عمر الملا حويش، مطبعة دار البصري، بغداد، (د.ط)، ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م.

٤. الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (ت ٦٤٣)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١٤١٠،١.

٥. إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، العلامة أبى السعود ، (ت٩٥١)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط) (د.ت) .

٦. أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العليم فوده، مؤسسة دار الشعب، القاهرة (د.ط) (د.ت) .

٧. أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، البيان، د.أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات،الكويت، ط١،(د.ت).

٨. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د.قيس إسماعيل الأوسي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٨.

٩. أسرار البلاغة، للأمام عبد القاهر الجرجاني، تح،هـ.ريتر،مطبعة وزارة المعارف، استنبول، (د.ط) (د.ت).

١٠. الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط١٩٧١،٤م.

١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مطبعة المدني، (د.ط) (د.ت) .
١٢. الإعجاز الفني في القرآن،عمر السلامي،تونس، (د.ط) ،١٩٨٠م.
١٣. إعجاز القرآن، للإمام القاضي أبى بكر محمد بن الطيب الباقلاني، شرح وتعليق الشيخ محمد شريف شكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
١٤. الأعجاز اللغوي في القصة القرآنية،د.محمود السيد حسن،د.حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة، ط١٩٨١،١م.
١٥. الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته، تأليف تيشترين، ترجمة د.حياة شرارة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (د.ط) ١٩٧٨م.
١٦. أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان،النجف الاشرف، ط١، ١٣٨٨هـ .١٩٦٨م.
١٧. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، (مختصر تلخيص المفتاح)،الخطيب القزويني، (د.ط) (د.ت).
١٨. الامالي في علم البيان وتاريخه، علي عبد الرزاق، مطبعة مقداد التابعة لمكتبة النيل بمصر، (د.ط) ،١٣٣٠هـ. ١٣٧٩هـ .١٩٦٠م.
١٩. البحر المحيط، أثير الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان ، (٦٥٤ . ٧٥٤)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٠. البديع تأصيل وتجديد، د.منير السلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط) ١٩٨٦م.
٢١. البديع في ضوء أساليب القرآن،عبد الفتاح لاشين، دار المعارف ، ط١ ،١٩٧٩.

٢٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤) تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، (د.ط) ١٣٩١.
٢٣. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم، تحقيق د.خديجة الحديثي، و د.أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد .(د.ط) (د.ت) .
٢٤. البلاغة الأسلوبية، د.محمد عبد المطلب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٨٤.
٢٥. البلاغة الاصطلاحية، د.عبده عبد العزيز قلقيليه، دارالفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٤٠٧هـ .١٩٨٧م.
٢٦. البلاغة العربية، البيان والبديع، د.ناصر حلاوي،و د.طالب محمد الزوبعي، دار الحكمة، بغداد، ١٤١١هـ .١٩٩١م.
٢٧. البلاغة العربية قراءة أخرى، د.محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
٢٨. البلاغة فنونها وافنانها، علم المعاني، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥ م.
٢٩. البلاغة فنونها وافنانها،علم البيان والبديع، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧ م.
٣٠. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م.
٣١. التبيان في تفسير القرآن للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، صححه ورتبه وعلق حواشيه أحمد حبيب قصير العاملي،مكتبة القصير، النجف الاشرف، (د.ط) (د.ت).
٣٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبى الإصبع المصري، تقديم وتحقيق د.حفني محمد شرف، مطابع الإعلانات الشرقية، (د.ط)، ١٣٨٣هـ . ١٩٦٣م.
٣٣. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف بمصر، ط٣، (د.ت).

٣٤. التعبير البياني،شفيع السيد، القاهرة، دار الصفا للطباعة،١٩٨٢ (د.ط) .
٣٥. التعبير الفني في القرآن الكريم، د.بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط٣، ١٣٩٣هـ .١٩٧٣م.
٣٦. التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة، (د.ط)، ١٩٨٦.
٣٧. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت،(د.ط) (د.ت).
٣٨. تفسير التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الأمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط) ،١٩٨٤.
٣٩. تفسير الجلالين، للامامين الجليلين جلال الدين محمد بن أحمد الحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، قدم له وعلق عليه فضيلة العلامة محمد كريم بن سعيد راجح، مكتبة النهضة، بغداد (د.ط) (د.ت).
٤٠. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، (د.ط) (د.ت).
٤١. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، (د.ت).
٤٢. التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.
٤٣. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق د.علي محمود مقلد، (د.ط) (د.ت) .
٤٤. التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، شرح عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، ١٣٥٠هـ . ١٩٣٢م.
٤٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ابو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥(د.ط) .
٤٦. الجامع لاحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٥.

٤٧. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد،(د.ط)،١٩٨٠م.
٤٨. جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، سورية، ط١، ١٤١٥هـ .١٩٩٤م.
٤٩. الجمان في تشبيهات القرآن لأبن نافيا البغدادي، تح د.أحمد مطلوب، ود.خديجةالحديثي، (د.ط) (د.ت).
٥٠. جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب قسطنطينية، ط١، ١٢٩٩هـ .
٥١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد المرحوم احمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١٢، ١٣٧٩هـ . ١٩٦٠م.
٥٢. جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، (ت ٧٣٧هـ)، تحقيق د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية مصر
٥٣. خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٠هـ .١٩٨٠م.٦٥.
٥٤. دراسات لأسلوب القرآن، تأليف محمد عبد الخلق عضيمة، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية،مطبعة السعادة، (د.ط) (د.ت).
٥٥. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، نقله الى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح القرمادي، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (د.ط)، ١٩٦٦م.
٥٦. دلائل الأعجاز، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، (ت ٤٧١هـ) تحقيق د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط١ ،١٩٩٥م.
٥٧. دلالات التراكيب دراسة بلاغية،د.محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة،ط١، ١٣٩٩هـ .١٩٧٩م.

٥٨. روائع الإعجاز في القصص القرآني، د.محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، (د.ط) (د.ت).
٥٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، المتوفي ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط) (د.ت).
٦٠. سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفي سنة ٤٦٦هـ ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د.ط) ١٣٨٩هـ .١٩٦٩م.
٦١. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي (ت ٤٥٨) تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ط) ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.
٦٢. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب، أحمد بن فارس، المكبة السلفية،(د.ط)، ١٣٢٨هـ .١٩١٠م.
٦٣. صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين محمد مخلوف، ط٣، (د.ت).
٦٤. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم بيروت، (د.ط) (د.ت).
٦٥. الصورة الفنية في المثل القرآني، د.محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (د.ط) ، ١٩٨١م.
٦٦. علم أساليب البيان، د.غازي يموت، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م.
٦٧. علم البيان ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ط)، ١٩٧٠م.
٦٨. علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، د.غانم قدوري الحمد، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ .١٩٨٦م.
٦٩. علم المعاني ،عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م.

٧٠. علم المعاني، درويش الجندي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، (د.ط) (د.ت).
٧١. علم المعاني بين النظرية والتطبيق،د.عبد الرزاق أبو زيد زايد، (د.ط) (د.ت).
٧٢. علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي،تصحيح محمود أمين النواوي، ط٦، (د.ت).
٧٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
٧٤. العين، الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد،بغداد، ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢م.
٧٥. الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٦هـ .١٩٨٦م.
٧٦. الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ .١٩٨٢م.
٧٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت (د.ط) (د.ت).
٧٨. فن البلاغة، د.عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،(د.ط) (د.ت).
٧٩. فن الجناس،بلاغة، ادب، نقد، علي الجندي، مطبعة الاعتماد، (د.ط) (د.ت).
٨٠. فنون بلاغية (البيان، البديع)، د.أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط١، الكويت، ١٩٧٥.
٨١. الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
٨٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ .١٩٧٤م.
٨٣. قاموس قرآني معجم دقيق للألفاظ، تفسير سديد للآيات، عرض شيق للصور البيانية، جمع وتأليف حسن محمد موسى، مطبعة خليل إبراهيم بالإسكندرية، (د.ط)، ١٣٨٦هـ .١٩٦٦م.

٨٤. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د.فضل حسن عباس،دار الفرقان، ط١، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
٨٥. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٠٥.
٨٦. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تصنيف أبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،ط١، ١٣٧١هـ . ١٩٥٢.
٨٧. كتاب الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
٨٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
٨٩. الكنايات القرآنية، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، مطبعة الأمة، بغداد، (د.ط) ١٣٩٥هـ .١٩٧٥م.
٩٠. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية للتأليف والإحياء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٩١. مباحث في إعجاز القرآن، احمد جمال العمري، مكتبة الشباب، (د.ط)، ١٩٨٢م.
٩٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وحققه وعلق عليه، د.أحمد الحوفي، د.بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ط١، ١٩٦٠م.
٩٣. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .١٩٩٥م.

٩٤. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت٤٠٥) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م، ط١،.
٩٥. المشاهد في القرآن الكريم(دراسة تحليلية وصفية)، د.حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار ، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٤م.
٩٦. المطول على التلخيص، خطيب الدمشقي،شرح علامة التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، (د.ط)، ١٣٣٠هـ .
٩٧. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د.فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)، ١٩٧٦م.
٩٨. معاني القرآن، تأليف أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء، (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب بيروت، ط٢، ١٩٨٥.
٩٩. المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٨م.
١٠٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ابو الفضل جلال الدين عبدالرحمن ابي بكر السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
١٠١. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت،لبنان، (د.ط) ، ١٩٨٢م.
١٠٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، (د.ط)، ١٤٠٧هـ .١٩٨٧م.
١٠٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، ١٩٤٥.
١٠٤. معجم مقاييس اللغة،ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥)، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،دار أحياء التراث العربي، ١٣٦٦.
١٠٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، اشرف عليه وراجعه د.أميل بديع يعقوب، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

١٠٦. مفتاح العلوم، ابي يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦)، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة بغداد، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
١٠٧. المفردات في غريب القرآن، الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني اعده للنشر وأشرف على الطبع د.محمد أحمد خلف الله، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، (د.ط) (د.ت).
١٠٨. من أسرار البلاغة في القرآن، د.محمود السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١٠٩. من أسرار القرآن، مصطفى محمود، دار العودة، بيروت (د.ط) (د.ت).
١١٠. من بلاغة القرآن، د.أحمد أحمد بدري، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ط٣، ١٩٥٠.
١١١. من بلاغة النظم العربي، ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
١١٢. من علوم القرآن وتحليل نصوصه، د.عبد القادر حسين، (د.ط) (د.ت) .
١١٣. من قضايا القرآن نظمه وجمعه وترتيبه،عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
١١٤. مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسن، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٧٤م.
١١٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام المفسر برهان الدين ابو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م.
١١٦. النظم القرآني في كشاف الزمخشري، د.درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع، ١٩٦٩م.
١١٧. النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م.

١١٨. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق وتقديم د.إبراهيم السامرائي، ود.محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، ١٩٨٥م.

الرسائل الجامعية

أ. رسائل الدكتوراه:

١. أساليب المجاز في القرآن الكريم، أحمد حمد محسن الجبوري، (رسالة دكتوراه) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ .١٩٨٩م.
٢. الأسلوب في الأعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، (رسالة دكتوراه) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ .١٩٩٠م.
٣. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، (رسالة دكتوراه)، جامعة القاهرة، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

ب. رسائل الماجستير:

١. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الربيعي، (رسالة ماجستير)، ، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤١٩هـ .١٩٩٨م.
٢. الجناس في القرآن الكريم، أسماء سعود الخطاب، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٨م.
٣. فن الالتفات في البلاغة العربية، قاسم فتحي سليمان، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٠٨هـ .١٩٨٨م.
٤. فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية، طالب عويد نايف الشمري، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.
٥. النون في العربية، مشتاق عباس معن علي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٨هـ .١٩٩٨م.

البحوث والمجلات

١. الالتفات في القرآن، الشاذلي الهشيري، حوليات الجامعة التونسية، ع٣٢، ١٩٩١م، تونس.

٢. الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د.كاصد ياسر حسين، مجلة آداب الرافدين، ع٩، ١٩٧٨م.

٣. حروف القرآن، دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، د.نعيم اليافي مجلة الفيصل السعودية، مجلة ثقافية شهرية، ع١٠٥، ذو الحجة ١٤٠٥- أيلول ١٩٨٥.

٤. من صور الأعجاز الصوتي في القرآن الكريم، محمد السيد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع٣٦، مج٩، ١٩٨٦.

Prophet Moses (Peace be on him) in the Holy Koran An Artistic Eloquent study

A thesis submitted to the council of Education College
(IBN RUSHD)- Baghdad University

As a part of the prerequisites to obtain the M.A. degree

in

Arabic Language/ literature

by

Aqbas Qays Abd Mustafa AL-Ani

Under the supervision of

Professor Hudham Jamal-ud-Din AL-Alousi

1426 A.H. 2005 A.D

Prophet Moses (Peace be on him) in the Holy Koran An Artistic Eloquent study.

Thanks to God for sending the Koran an exposition; and Prayers and Peace be on our prophet Mohammed the best of the human creation: and Prayers and Peace may go side by side till the bay we meet.

Obtain valuable in formation from; and it is the only main source, to which Moslems refer, as it is the divine constitution of Islam in which every Moslem, man or woman, believes.

The holy Koran is pried by Mohammed is an eloquent miracle by which he challenged people who were very well known for their Fluency of speech and greet ability to express themselves and things. The Koran contained the most expressive statements and the most elaborate style. The verses are full of pieces of Wisdom and advice and stores of the early prophets and messengers, metaphysics and matters concerning an existing world and the next world.

It is my ambition since my ambition as a Post Graduate student that my M.A. thesis should have relationship with the Holy Koran, the Holy book of our lord, since I was child, and God helped me to choose the subject of the thesis, i.e. 'Prophet Moses in the holy Koran: An Artistic, Eloquent study.'

I chose this subject for I haven't found a single study that dealt with this aspect in holy Koran except one research study and analysis by Mr.Imad Abdul- Hadi Al-Obeidi under the title of 'prophet Moses between the Torah and the holy Koran.' This thesis studied the descriptive and objective aspects of the verses but without the application of the eloquent characteristics and thus they differed in their programming and tackling from my program and the way I tackled the subject in this thesis.

The nature of the research necessitated that the thesis be composed of three chapters preceded by a preface and a foreword and ended with a conclusion showing the most remarkable findings. In the very end came the list of sources. The foreword contained a brief acknowledgement of the verses concerning Prophet Moses and their Position in the holy Koran.

In the first chapter I discussed the constructive level of speech and divided it into three sub-researches: the first deals with the predicate in its two types: the real and the metaphorical, as well as figurative purposes and their impact on the illustration and embodiment of events whereas the second sub- research deals with the two types of composition: the demanding and the non-demanding; and the third sub-research dealt with the conditions of the sentence: precedence, delay, deletion, separation and turning, in dictating the effect of each on the embodiment of images and events contained therein and the eloquent metaphor it brought about despite their different systems.

The second chapter deals with rhetoric levels and comprising three sub- researches: the first dealt with the simile, the second with the metaphor and the third with metonymy.
The third chapter dealt with the vocal level of the verses and contained three sub-researches the first covered the repetition, the second covered the pun and the third covered the Koran interstices and concentrated on the impact they cast on the recipient .the research is ended with a conclusion in which the most important findings obtained are manifested.

As regards the sources, they are many and of different kinds the leading of which is Zamakhshari's 'Al-kashaf' which enriched the research, the Razi's interpretation (Al-Tafseer Al-Kabeer) and Ibn-Ashour's 'Tahreer & Tanweer' which discussed various aspects of the Koran especially the eloquent aspect. This is in addition to other interpretation, the specialized eloquent sources and the modern reference .All these sources and references helped in finagling the research and made it takes its actual existing shape.

.